عندما نُبعث نحن الموتى

هنريك إبسن

ترجمة: شرين عبد الوهاب وأمل رواش

مراجعة: د.سامية لويس ، د. إيمان عز الدين، انجيارد يوسف، د.عصام عبد العزيز

مسرحية من ثلاث فصول

AF HENRIK IBSEN
KØBENHAVN
(GYLDENDALSKE BOGHANDELS FORLAG (F. HEGEL & SØN
GRÆBES BOGTRYKKERI
1899

الشخصيات

البروفيسور أرنولد روبيك نحات
السيدة مايا روبيك زوجته
مفتش الحمامات العلاجية
أولفهايم من مُلاك الأراضي
السيدة المسافرة
راهبة الرحمة
الخدم ، زوار الحمامات العلاجية، الأطفال

تجري أحداث الفصل الأول بجوار حمام علاجي قرب الشاطئ

تقع أحداث الفصلين الثاني والثالث بالقرب من منطقة بها حمام علاجي فوق الجبال.

الفصل الأول

(خارج فندق الحمام العلاجي حيث يمكن رؤية جزء من المبنى الرئيسي- من جهة اليمين. المكان فسيح مكشوف أشبه بالمنتجع به نبع ومجموعة من الأشجار الكبيرة العتيقة ودغل من الشجيرات. إلى اليسار جناح صغير تكاد أشجار اللبلاب ونباتات فرجينيا المتسلقة أن تغطيه تماما. في خارجه منضدة وبجوارها مقعد. في الخلف مشهد لأحد الفيوردات يمتد من وراءه حتى البحر ، ويُرى عن بعد بعض الجزر الصغيرة والألسنة البحرية البارزة تمتد في البحر. يوم هادئ مشمس من أيام الصيف، والوقت: عند الظهيرة.)

(البروفيسور روبيك و السيدة مايا يجلسان على كرسيين من الخوص بجوار مائدة فوق العشب خارج الفندق وقد انتهيا من إفطارهما .والآن يتناولان الشمبانيا ومياه معدنية فوارة وفي يد كل منهما صحيفة. البروفيسور رجل متقدم في السن ذو مظهر ممتاز يرتدي سترة من المخمل الأسود وبقية ملابسه صيفية خفيفة.السيدة مايا ذات وجه تعبر سماته عن الشباب والحيوية ، عيناها مرحتان إلا أن قليل من التعب يبدو على محياها وترتدي ثياب سفر أنيقة.)

السيدة مايا : (تجلس كما لو كانت تنتظر أن يقول البروفيسور شيئًا، ثم تترك صحيفتها تسقط من يدها وهي تتنهد) أوف، لا، لا...!

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها من وراء الصحيفة) إيه يا مايا؟فيكي إيه؟

السيدة مايا : أنا بسمع الصمت.

البروفيسور روبيك: (يبتسم ابتسامة متسامحة) وهل تقدري تسمعيه؟

السيدة مايا : إيه؟

البروفيسور روبيك: الصمت؟

السيدة مايا : أه، طبعا.

البروفيسور روبيك: يمكن عندك حق يا بنتي. فعلا الواحد ممكن يسمع الصمت.

السيدة مايا: أكيد ممكن تسمعه. لما يكون في صمت زي كده هنا فا....

البروفيسور روبيك: تقصدي هنا في منطقة الحمامات؟

السيدة مايا : أنا قصدي في كل حته في بلدنا . في المدينة هتلاقي أصوات ودوشة كفاية ومع كده.... أنا حاسة برضة إن الأصوات والدوشة دول ميتين .

البروفيسور روبيك:(بنظرة فاحصة) إنتي مش مبسوطة إنك رجعتي بلدك تاني يا مايا؟

السيدة مايا : (تنظر إليه) وهو إنت مبسوط؟

البروفيسور روبيك:(متهربا) أنا....؟

السيدة مايا : أه، إنت بعدت عن بلدك أكتر مني بكتير. إنت مبسوط إنك رجعت بلدك تاني؟

البرفيسور روبيك: لأ... بصراحة...أنا مش مبسوط قوي.

السيدة مايا : (بحيوية) شفت؟! أنا كنت متأكدة من كده!

البروفيسور روبيك: يمكن أكون غبت عن بلدي أكتر من اللازم ، وبعدت خالص عن كل ده ... عن الوطن.

السيدة مايا :(بحيوية وهي تقرب كرسيها منه) شفت يا روبيك؟!خلينا نسافر تاني! في أسرع وقت.

البروفيسور روبيك:(بشيء من الضيق) أيوه، أيوه. وده هو الهدف يا حبيبتي يا مايا. ما إنتي عارفة كده.

السيدة مايا : طب و ليه ما نعملش كده على طول؟تخيل قد إيه ممكن حياتنا تبقى هادية وجميلة في البيت الجديد الرائع...

البروفيسور روبيك:(يبتسم بسماحة) المفروض إنك تقولي بيتنا الجديد الجميل.

السيدة مايا : (بسرعة) أنا قلت بيت... خلينا نقول كده.

البروفيسور روبيك:(يمعن النظر فيها) إنتي إنسانة صغيرة وغريبة بجد.

السيدة مايا : أنا غريبة للدرجة دي ؟

البروفيسور روبيك: أيوه، أنا شايف كده.

السيدة مايا : ولكن ليه؟ عشان أنا مش عايزة أفضل نايمة هنا وألف حوالين المنطقة من غير هدف.....؟

البروفيسور روبيك: ومين فينا كان هايموت عشان يسافر للشمال في الصيف ؟

السيدة مايا : أنا.

البروفيسور روبيك: أه ، مش أنا يعني.

السيدة مايا : ياربي! مين فينا كان يعرف إن كل الحاجات في البلد اتغيرت بالشكل البشع ده؟ وفي فترة قصيرة كده! تخيل ما فتش أكتر من أربع سنين من ساعة ما سافرت.

البروفيسور روبيك: ....كنتي متجوزة ، آه.

السيدة مايا : متجوزة؟ وإيه دخل الجواز في الموضوع؟

البروفيسور روبيك:(مستمرا) ...من ساعة مابقيتي مدام البروفيسور وبقى عندك بيت أنيق.....لا مؤاخذة .... أقدر أقول قصر. وفيلا على شـاطئ بحيرة تونيتز التي بقت دلوقتي من أرقى المناطق ....آه ، المكان كله جميل وراقي يا مايا أقدر أقول كده ، والدنيا واسعة كمان وبقينا مش محتاجين نفضل مع بعض....

السيدة مايا : (برفق) لا، لأ، لأ.... مش الوسع والحاجات دي هو المهم.

البروفيسور روبيك: إنتي دخلتي وسط ناس راقيين والظروف بقت أفضل من الأول بكتير.. واتعاملتي مع ناس من طبقة أعلى من اللي إنتي متعودة عليها في بلدك.

السيدة مايا : (تنظر إليه) آه، أنت فاكر إن ده هو اللي غيرني؟

البروفيسور روبيك: أه، أنا متأكد من ده يا مايا.

السيدة مايا : أنا بس؟ مش الناس هنا اللي اتغيروا كمان؟

البروفيسور روبيك: لا. يمكن همه اتغيروا شوية وأكيد مش للأحسن. أنا باعترف بكده.

السيدة مايا : آه، لازم نعترف بكده فعلا.

البروفيسور روبيك:(يغير الموضوع) إنتي عارفة إيه اللي بيأثر في نفسيتي لما بشوف حياة الناس حواليا هنا ؟

السيدة مايا : لأ. قولي.

البروفيسور روبيك: ساعتها بتفكر الليلة اللي سافرنا فيها بالقطر...

السيدة مايا : إزاي وإنت كنت نايم في القطر طول الوقت؟

البروفيسور روبيك: مش بالظبط. أنا حسيت قد إيه كانت الدنيا ساكتة في كل المحطات الصغيرة... . أنا سمعت الصمت... زيك يا مايا...

السيدة مايا : احم... أه زيي.

البروفيسور روبيك: ... ساعتها فهمت إننا عدينا الحدود.... وإننا وصلنا لبلدنا . لأن القطر كان بيقف في كل المحطات الصغيرة .... رغم أنه ماكنش فيه حد موجود.

السيدة مايا : طيب كان بيقف ليه طالما مافيش حد موجود؟

البروفيسور روبيك: ماعرفش . ماكنش فيه أي حد لا بينزل ولا بيطلع القطر لكن كان برضه بيقف لفترة طويلة. وفي كل محطة كنت باسمع الرجلين اللي بشتغلوا في القطربينزلوا على الرصيف... واحد منهم كان ماسك كشاف في إيده... وكانوا بيتكلموا مع بعض بصوت واطي كلام مالوش معنى.

السيدة مايا : عندك حق. كان فيه دايما رجلين بيقفوا يتكلموا مع بعض...

البروفيســور روبيك: مابيتكلموش عن حاجة مهمة .(تتغير لهجته لتصــبح أكثر حيوية) بس اســتني كده لبكرة. هاتيجي الباخرة الكبيرة المريحة التي بتقف على الميناء وهانطلع عليها وهاتلف بينا على الساحل ... لغاية الشمال. .... وهنوصل للبحر القطبي على طول.

السيدة مايا : أيوه، لكن ساعتها مش هانشوف حاجة من المدن... ولا الحياة هناك. وهوده بالظبط اللي إنت كنت عايزه.

البروفيسور روبيك:(باقتضاب ومرغما) أنا شفت ما فيه الكفاية.

السيدة مايا : إنت متخيل إن رحلة البحرية هتكون أفضل بالنسبة لك؟

البروفيسور روبيك: أهو تغير.

السيدة مايا :طيب، طيب.لو ده كويس بالنسبة لك فا ...

البروفيسور روبيك: ليا أنا؟ كويس؟ أنا مافياش حاجة خالص.

السيدة مايا :(تنهض وتذهب إليه) لأ، إنت فيك حاجة يا روبيك، ولازم تكون إنت نفسك حاسس بيها.

البروفيسور روبيك: بس يا مايا يا حبيبتي... ايه هي؟

السيدة مايا : (تقف خلفه منحنية على ظهر كرسيه) قولي إنت. إنت رايح جاي قلقان ومش قادر تلاقي الراحة في أي مكان...لا في البيت ولا برا البيت.و بقيت منطوي وبعيد عن الناس في الفترة الأخيرة.

البروفيسور روبيك:(بقليل من السخرية) فعلا... إنتي لاحظتي كده؟

السيدة مايا : أي حد يعرفك هايلاحظ كده. وأنا شايفة إن حاجة محزنة إنك مابقاش عند رغبة في الشغل.

البروفيسور روبيك: وده كمان؟

السيدة مايا : تخيل! إنت اللي كان ممكن تشتغل طول الوقت... ليل نهار!

البروفيسور روبيك:(بحزن) زمان. أه ....

السيدة مايا : من ساعة ما خلصت مشروعك الفني الكبير، تحفتك الخالدة...

البروفيسور روبيك:(يومئ وهو شارد) " يوم البعث"....

السيدة مايا : ...أه، اللي لف العالم كله وخلاك بقيت مشهور....

البروفيسور روبيك: ويمكن ده لسوء حظي يا مايا

السيدة مايا : إزاي؟

البروفيسور روبيك: لما خلصت مشروعي الكبير ده.....(يمد ذراعيه بقوة).... لأن "يوم البعث" كان مشروع مالوش مثيل! أو كان كده في الأول. لا، ولسه كده. لازم ،لازم، لازم يكون مشروع مالوش مثيل فعلا!

السيدة مايا : (تنظر إليه في دهشة) أه يا روبيك .... العالم كله عارف كده.

البروفيسور روبيك:(باختصار وفي نفور) يبقى العالم كله مايعرفش حاجة ولا بيفهم حاجة...

السيدة مايا : طيب ، بس عل الأقل بيعرف حاجة ..

البروفيســـور روبيـك: حـاجـة، حـاجـة مش موجودة، أه. حـاجـة عمرهـا مـا جـت على بـالي. وهي اللي بهرتهم زي مـا إنتي فاهمة.....(متذمرا) مافيش فايدة إن الواحد يشتغل ويتعب عشان يرضي النخبة والعامة من الناس... عشان يرضي"العالم كله".

السيدة مايا : يعني إنت شايف إن الأفضل ...أو الأحسن ليك إنك تعمل تماثيل نصفية بس؟

البروفيسور روبيك:(يبتسم خلسة) اللي أنا بصنعها مش بس تماثيل نصفية يا مايا.

السيدة مايا : هي كده ... أقسملك السنتين أو التلاته الأخيرة..... ومن ساعة ما عرفت تخلص مجموعتك الفنية الكبيرة وخرجتها من البيت فا...

البروفيسور روبيك: أنا بأكدلك إنها مش تماثيل نصفية.

السيدة مايا : طب همة ايه؟

البروفيسور روبيك: فيه حاجات غامضة ومستخبية جوه ووراا التماثيل النصفية دي.... أسرار مافيش إنسان يقدر يشفوها...

السيدة مايا : بجد؟

البروفيســور روبيك:(بحزم) أنا بس اللي أقدر أشــوفها . ودي حاجة بتفرحني جدا.... وفيه بينهم وبين بعض "شــبه مذهل" من بره، زي ما بيقولوا. و الناس بتقف قدامهم مبهورين و مندهشــين... (يخفض صــوته) ....ولكن الحقيقة العميقة إنهم شــبه وشوش أحصنة مخلصة بهية وأفواه حمير عنيدة لها ودان مدلدلة وروس كلاب جبهتهم ضيقة وروس خنازير سمينة وبتي أدمين متوحشين وكمان....

السيدة مايا :(بلامبالاة)... يبقى هي كل الحيوانات الأليفة المحبوبة.

البروفيسـور روبيك: الحيوانات الأليفة الحبوبة بس يا مايا . كل الحيوانات التي سـخرها البشرـ.... واللي قدرت تفسـده. (يفرغ كأس الشـامبانيا ويضـحك) وهي دي الأعمال الفنية الشرـيرة الخبيثة اللي الناس الغنية بيجوا يطلبوها مني بنية سـليمة جدا .....وبيدفعوا فيها مبالغ كبيرة.

السيدة مايا :(تملأ كأسه) اخص عليك يا روبيك! دلوقتي اشرب واتبسط.

البروفيسـور روبيك:(يمرر يده على جبهته عدة مرات ويسـتند إلى ظهر كرسـيه) أنا مبسـوط يا مايا ، مبسـوط جدا..... بشـكل ما.(صـمت قصـير) في النهاية الواحد بيحس بسـعادة لما يكون حر وطليق ومش محتاج لحد ..... ولما يكون عنده كل حاجة هو عايزها على الأقل قدام الناس. .... إنتي مش معايا برضه يا مايا ؟

السـيدة مايا : أكيد،. وده المفروض يكون كفاية. (تنظر إليه) لكن إنت فاكر اللي وعدتني بيه يوم ما اتفقنا ؟...عن الموضـوع الحساس ده.....

البروفيسور روبيك:(يومئ) ... لما اتفقنا إننا نتجوز ... أيوه. الموضوع كان صعب بالنسبة ليكي يا مايا.

السـيدة مايا :(تظل هادئة) ... واتفقنا إنك هاتخدني معاك ونسـافر بره البلد وأعيش هناك مدى الحياة... واعيش حياة كريمة... إنت فاكر وعدتني بيه ساعتها ؟

البروفيسور روبيك:(يهز رأسه) لأ، مش فاكر. وعدتك بإيه؟

السيدة مايا : إنت وعدتني إنك هتاخدني فوق قمة جبل عالي عشان توريني كل أمجاد العالم.

البروفيسور روبيك:(يجفل قليلًا) وكمان وعدتك إنتي؟

السيدة مايا : (تنظر إليه) أنا؟ ومين غيري؟

البرفيسور روبيك:(بلا اكتراث) لأ،لأ أنا قصدت إذا أنا كنت وعدتك أني أوريكي....؟

السيدة مايا :... كل أمجاد العالم؟ أيوه، إنت قلت كده، وقلتلي إن كل أمجاد العالم كلها هتكون ليا وليك.

البروفيسور روبيك: ده تعبير كنت بقوله زمان.

السيدة مايا : مجرد تعبير؟

البروفيسور روبيك: أيوه، تعبير من أيام المدرسة....كنت متعود أقوله لأطفال الجيران عشان أغريهم يجوا معايا ونلعب في الغابة وفي الجبال.

السيدة مايا :(تحملق فيه) يمكن كنت عايز تغريني عشان ألعب معاك أنا كمان؟

البروفيسور روبيك:(يعتبرها مزحة) طيب، على العموم هي كانت لعبة مسلية يا مايا؟

السيدة مايا :(ببرود) أنا ماسفرتش معاك عشان ألعب بس.

البروفيسور روبيك: لأ، لأ. عندك حق.

السيدة مايا : وإنت ولا طلعتني فوق جبل عالي ولا ورتني...

البروفيســـور روبيك:(بضـــيق) .... كل أمجاد العالم؟ لأ، أنا ماعملتش كده. عايز أقولك حاجة: .... إنتي في الحقيقة ماتنفعيش تطلعي جبال يا مايا يا صغيرة.

السيدة مايا :(تحاول أن تكبح جماح نفسها) لكن ده ماكنش رأيك ساعتها.

البروفيســـور روبيك: أه ده كان من أربع أو خمس ســـنين ،أيوه. (يتمدد على الكرسي) أربع ...أو خمس ســـنين . دي مدة طويلة جدًّا يا مايا.

السيدة مايا :(تنظر إليه ويبدو على وجهها المرارة) هل كانت الفترة دي طويلة قوي كده بالنسبة لك يا روبيك؟

البروفيسور روبيك: بدأت أحس دلوقتي إنها كانت فترة طويلة إ(يتثاءب) كل فترة.

السيدة مايا :(تعود إلى مكانها) من دلوقتي ماعتش هاخليك تحس بالملل.

(تعود إلى مقعدها وتجلس وتتناول الصحيفة وتبدأ في تصفحها. يسود الصمت من الجانبين.)

البروفيسور روبيك:(يستند على المنضدة بمرفقيه وينظر إليها نظرة استفزازية) هل حرم البرفيسور اضايقت ولا إيه؟

السيدة مايا :(ببرود دون أن ترفع نظرها عن الصحيفة) لأ، خالص.

(بدأ زوار المنتجع، وأغلبهم من السيدات، يتوافدون فرادى وجماعات عبر الحديقة من اليمين ويخرجون من جهة اليسار.)

(يحضر الندلاء المرطبات من الفندق ويذهبون بها إلى ما وراء جناح الحديقة .)

(يعود مفتش الصـــحة من جولته الإشرافية في المنتجع مرتديا قفازا ويحمل عصـــا و يقابل الزوار في طريقه وينحني لهم في أدب ويتبادل مع بعضهم القليل من الكلمات.)

المفتش:(يتقدم من منضدة البرفيسور روبيك ويخلع قبعته في أدب) صباح الخير يا مدام البرفيسور.... صباح الخير يا برفيسور

البروفيسور روبيك: صباح الخير، صباح الخير يا حضرة المفتش.

المفتش:(يخاطب السيدة مايا) هل قضيتوا ليلة هادية؟

السيدة مايا : أيوه، أشكرك. ليلة رائعةبالنسبة ليا أنا على الأقل.أنا دايما بنام زي الطوبة.

المفتش: دي حاجة تسعدني لأن أول ليلة في مكان غريب بتبقى دايما مش مريحة.... والبرفيسور....؟

البرفيسور روبيك: أوه، نومي بالليل مش مريح ... وخصوصا في الفترة الأخيرة.

المفتش:(يتظاهر بالعطف) أوه، دي حاجة تزعلني .... لكن بعد ما تقضي كام أسبوع في منطقة الحمامات كل حاجة هتتصلح.

البروفيسور روبيك:(ينظر إليه) قول لي يا حضرة المفتش.... هو فيه حد من المرضى بتوعك بينزلوا الحمامات بالليل؟

المفتش: (في دهشة) بالليل؟ لأ، ماسمعتش حاجة زي كده.

البروفيسور روبيك:بجد؟

المفتش: لأ، ماعرفش حد من الناس المريضة هنا تعابن لدرجة إنه يحتاج يعمل كده.

البروفيسور روبيك:طيب فيه حد بيمشي في المنتجع بالليل؟

المفتش: (يبتسم ويهز رأسه) لا يا حضرة البروفيسور .... ده مخالف للوايح هنا.

السيدة مايا :(بضيق) يا الله يا روبيك! زي ما قلتلك الصبح إنت أكيد ....كنت بتحلم.

البروفيسور روبيك: (بجفاء)فعلا؟كنت باحلم؟شكرا! (يلتفت إلى المفتش) أنا صحيت بالليل لأني ماكنتش قادر أنام. وكنت عايز أشوف الجو شكله إيه و....

المفتش: (منتبها) فعلا يا حضرة البروفيسور؟.... وبعدين...؟

البروفيسور روبيك: بصيت من الشباك... وشفت حد لابس أبيض بيتحرك بين الشجر اللي هناك ده.

السيدة مايا : (تبتسم للمفتش) والبرفيسور قال إن الشخص ده كان لابس لبس السباحة....

البروفيسور روبيك: ..أنا قلت حاجة تشبه كده. ماكنتش قادر أميزه بس أنا كنت شايف شبح أبيض.

المفتش: ده حاجة غريبة جدًّا. هو كان راجل ولا ست؟

البروفيسـور روبيك: أنا متاكد إنها كانت واحدة سـت. وبعد كده جه حد تاني كان لابس هدوم لونها اسـود غامق .... زي ما يكون ظل.

المفتش: (يجفل) ست لبسه اسود؟ ويمكن كان اسود غامق؟

البروفيسور روبيك: أه، شكلها كده.

المفتش: (مستوعبا) وكان ماشي وراء الست اللي لابسة الأبيض؟ وراها زي مايكون ظلها....؟

البروفيسور روبيك: أيوه ... بعيدة عنها شوية...

المفتش: آهاه! أنا أقدر اشرحلك اللغز ده يا حضرة البروفيسور.

البروفيسور روبيك: طيب إيه هو بقى؟

السيدة مايا : (في نفس الوقت) معنى كده إن البرفيسور ما كنش بيحلم؟

المفتش: (يهمس فجأة وهو يوجه انتباههما نحو الخلف من الناحية اليمنى) هس يا فندم! بصـــوا ...هي .... ماتتكلموش في الموضوع ده دلوقتي!

(تقبل من ناحية زاوية الفندق ســيدة نحيلة، ترتدي ثوبا من الكشــمير الأبيض الكر يمي تتبعها راهبة الرحمة ترتدي ثوبا أســودا، وعلى صدرها سلسلة معلق فيها صليب فضي ثم تعبر الحديقة نحو الجناح الذي يقع جهة اليسار في المقدمة. السيدة ذات وجه شـــاحب، ويبدو الجمود على ملامح وجهها وجفونها ذابلة متدلية فتبدو وكأنها لا ترى، ثوبها طويل يبلغ قدميها وينســـدل على جسـدها في طيات عمودية، ويغطي رأسـها، ورقبتها، وصـدرها، وكتفيها و - ذراعيها شـال كبير من الكريب الأبيض. وتبقي ذراعيها متعامدة على صـدرها، وجسـدها ثابتا وخطواتها جامدة قصـيرة .وتسـير راهبة الرحمة بنفس الاتزان وكأنها خادمة تتابع السـيدة بعينين بنيتين حادتين ثابتة باســـتمرار على الســـيدة.يقبل الندلاء من مدخل الفندق يحملون على أذرعهم المناديل ، ويلقون بنظرات فضولية على الغريبتين غير أنهما لا تعيران أي شيء انتباها ولا تريان أي أحد وتدخلان الجناح دون أن تلتفتا إلى أي شيء.)

البروفيسور روبيك: (ينهض ببطيء يحملق لا إراديا في باب الجناح المغلق) مين الست دي؟

المفتش: دي ست غريبة أجرت الجناح الصغير اللي هناك؟

البروفيسور روبيك: أجنبية؟

المفتش: غالبا. على كل حال من أسبوع تقريبا الاتنين وصلوا هنا من بره . وهمه ماجوش هنا قبل كده أبدا.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليه ويقول في حزم) هي دي اللي أنا شفتها في الجنينة بالليل.

المفتش: أكيد كانت هي.أنا عرفت ده على طول.

البروفيسور روبيك: اسمها أيه الست دي يا حضرة المفتش؟

المفتش : سجلت نفسها باسم "مدام دي ساتوف" ومعاها مرافقة ومانعرفش حاجة أكتر من كده.

البروفيسور روبيك:(يفكر مليا) ساتوف؟ ساتوف...؟

السيدة مايا : (تضحك في سخرية) وإنت تعرف حد بالاسم ده ياروبيك؟ هه؟

البروفيسور روبيك: (يهز رأسه) لأ، ماعرفش أحد ..... ساتوف؟ كأنه اسم روسي أو على الأقل من أصل سُلافي.(إلى المفتش) هي بتتكلم بأنهي لغة ؟

المفتش: لما الاتنين بيتكلموا مع بعض بيتكلموا لغة ماعرفهاش غير كده هي بتتكلم اللغة النرويجية كويس جدا.

البروفيسور روبيك: (يتساءل في دهشة) نرويجية؟إنت متاكد؟

المفتش: أكيد، إزاي مش متأكد؟

البروفيسور روبيك: (ينظر إليه باهتمام) إنت سمعتها بنفسك؟

المفتش: أه، أنا سمعتها بنفسي بتتكلم كذا مرة... بس كام كلمة كده....عشان هي مبتتكلمش كتير. بس...

البروفيسور روبيك: لكن كانت لغة نرويجية؟

المفتش: لغة نرويجية واضحة جدا... لكن يمكن لهجتها فيها من لهجة أهل الشمال.

البروفيسور روبيك: (ساهما ويهمس) كمان؟
وهذا أيضا؟

السيدة مايا : (بذهول وضيق) يمكن الست دي كانت موديل من موديلاتك يا روبيك؟ فكر كده.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها بحدة) موديل!؟

السيدة مايا : (بابتسامة استفزازية) قصدي لما كنت شاب لأن كان عندك موديلات كتير.... من زمان طبعا .

البروفيســـور روبيك: (بنفس اللهجة) لأ يا مايا هانم الصـــغيرة . ماكنش عندي غير موديل واحد بس....واحد بس لكل الحاجات اللي عملتها.

المفتش: (اســـتدار وابتعد قليلًا وهو ينظر جهة اليســـار) بعد اذنكم لازم أســـتأذن عشـــان فيه شـــخص جاي أنا مش عايز أقابله خصوصا في وجود ستات

البروفيسور روبيك: (ينظر في نفس الاتجاه) الصياد اللي جاي هناك ده؟ مين ده؟

المفتش: ده أولفهايم الراجل الغني. أهو جاي ....

البروفيسور روبيك: أوه، أولفهايم.

المفتش: ... صياد الدببة... همه بيسموه كده ....

البروفيسور روبيك: أنا أعرفه.

المفتش: أكيد، ومين مايعرفوش؟

البروفيسور روبيك: أنا أعرفه معرفة سطحية. هو بقى واحد من المرضى دلوقتي؟

المفتش: لأ، حاجة غريبة.... لغاية دلوقتي لأ. هو بيعدي هنا مرة في السنة .... وهو رايح يصطاد ... بعد اذنكم .

(يتحرك في اتجاه الفندق)

صوت أولفهايم: (يسمع من الخارج) استنى! يا ملعون! استنى! إنت دايما بتهرب مني ليه؟

المفتش: (يتوقف) أنا مابهربش منك يا أستاذ أولفهايم
أنا لا أتهرب منك يا سيدي.

(يدخل أولفهايم من اليسار يليه خادم معه زوج من الكلاب في مقودها . يرتدي أولفهايم لباس الصيد وحذاء عاليًا برقبة وقبعة من اللباد بها ريشة. وهو طويل، نحيف ومتين العضلات، قوي الشخصية، ملبد الشعر واللحية ، صوته جهوري. مظهره لا يعطي أي انطباع عن عمره، لكنه لم يعد شابا.)

أولفهايم: (ينقض على المفتش) هي دي الطريقة اللي بتستقبل بيها الناس الغرب؟ بتجري وديلك بين رجليك... زي ما يكون فيه شيطان بيجري وراك؟

المفتش:(في هدوء دون أن يجيبه) إنت وصلت هنا بالباخرة؟

أولفهايم : (مزمجرا) ماحصـــليش الشرـف وشـــفت أي باخرة . (واضـــعا يديه في خصرـه) إنت ماتعرفش إن عندي مركب شراعي بتاعي؟ (للخادم) خد بالك من صـــحابك يا لارش ولكن خد بالك كمان إنهم يفضـــلوا جعانين. إديهم لحم طازة وعضـــم لكن مايكنش فيهم لحم كتير. سامع؟ ولازم اللحمة النية يكون طالع منها ريحة الدم واملا بطنك إنت كمان. (يركله) يالا روح في ستين داهية !

(يخرج الخادم مع الكلبين ويختفي في زاوية الفندق إلى الخلف) .

المفتش: مش عايز تدخل المطعم يا أستاذ أولفهايم؟

أولفهايم: أخش جوه للدبان و الناس اللي شبه الميتين دول؟ لأ ، شكرا يا أستاذ .

المفتش: طيب، طيب، زي ما حضرتك عايز .

أولفهايم: لكن خلي الخدامة تجهزلي ســبت كبير كالعادة ، لازم يكون مليان أكل كتير وبراندي...! وقولها إنها لو ماجهزتوش هاجي أنا ولاوش وهنبهدلها.

المفتش:(يقاطعه) إحنا عارفين أســـلوبك ده كويس . (يلتفت) هل تؤمر بحاجة من الخدامين يا بروفيســـور؟ أو حاجة لمدام روبيك؟

البروفيسور روبيك: لا، شكرا. أن مش عايز أي حاجة؟

السيدة مايا : ولا أنا كمان.

(يدخل المفتش إلى الفندق.)

أولفهايم: (يحملق فيهما لحظة ثم يرفع قبعته) معقول؟! يا نهار اسود! واضح إن فيه هنا الفلاح قابل ناس راقية قوي.

البروفيسور: (ينظر إليه) قصدك إيه يا استاذ أولفهايم؟

أولفهايم: (بسرعة وبأدب) أظن ليا الشرف إني أقابل النحات العظيم روبيك

البروفيسور روبيك: (يومئ) إحنا اتقابلنا في حفلة أو حفلتين.

أولفهايم: ده حصل من سنين طويلة وساعتها مكنتش مشهور زي دلوقتي . وساعتها مكنش يقدر صياد دببة زيي يقرب منك.

البروفيسور روبيك: (يبتسم) وحتى دلوقتي أنا مابعضش.
وأنا لا أعض حتى الآن.

السيدة مايا : (تنظر إلى أولفهايم باهتمام) هو أنت فعلا صياد دببة؟

أولفهايم: (يجلس إلى المنضدة التالية من ناحية الفندق) أنا صياد دببة يا هانم لما تجيني فرصة لكن أنا بنتهز أي فرصة عشان اصطاد أي نوع من الحيوانات اللي تقابلني...نسور وذئاب وأيائل و غزلان... طالما يكون لحمها طازة مليان دم وساعتها...

(يشرب من قارورة في جيبه.)

السيدة مايا : (تثبت عينيها عليه) لكن إنت بتحب تصطاد دببة أكتر ؟

أولفهايم: أه. في الحالة دي أقدر استخدم السكينة لو احتجتلها .(يبتسم ابتسامة خفيفة) إحنا الاتنين بنشتغل خامات صلبة يا هانم.... أنا وجوزك. اتخيل إنه بيحارب حجر الرخام وأنا بحارب عضلات الدببة القوية المتوترة واحنا الاتنين بنكسب المعركة في الآخر. كل واحد فينا بيتحكم في أسلحته وبيسيطر على أدواته. وما بنيأس لغاية لما نقضي على كل اللي بيقاومنا.

البروفيسور روبيك: (يمعن التفكير) اللي بتقوله ده كلام صحيح .

أولفهايم: أيوه، أنا عارف إن الحجر عنده حاجة يحارب عشانها لأنه ميت وبيقاوم بكل قوة وعنف عشان الحياة ما تدبش فيه بالمطرقة بالظبط زي الدب لما حد بيحاول يخرجه من مغارته.

السيدة مايا : هو إنت هتروح تصطاد في الغابة دلوقتي ؟

أولفهايم: أنا ناوي أطلع لقمم الجبال.....حضرتك عمرك ماطلعتي طبعا لقمة جبل عالي يا هانم.

السيدة مايا : لا، أبدا.

أولفهايم: يا نهار اسود! لازم تحاولي تطلعي للجبل فوق الصيف ده! ممكن تيجي معايا. ياريت حضرتك والبروفيسور.

السيدة مايا : شكرا لكن روبيك بيفكر نطلع رحلة بحرية في الصيف ده.

البروفيسور روبيك: حول الساحل بين الجزر.

أولفهايم: أوف... وانتوا هاتعملوا ايه في المزاريب الملعونة دي؟ ... تخيل إنك تفضـــل تتخبط في الميه المالحة الراكدة كده... عموما أنا بفضل أسميها مستنقعات راكدة.

السيدة مايا : اسمع يا روبيك!

أولفهايم: لأ. تعالوا معايا للجبل أحسـن .... هناك الجو نقي .... هناك مافيش ناس والمكان نقي من البشر... ماتتخيلوش معنى ده بالنسبة لي إيه.... ولكن بالنسبة لهانم صغيرة فا ....

(يتوقف)

(تقبل راهبة الرحمة من الجناح متوجهة إلى الفندق فيتبعها أولفهايم بنظراته.)

أولفهايم: (يتبعها بعينيه) بص على اللي جاية هناك دي، أرجوك! الغراب الأسود الذي ماشي هناك ده .. يا ترى مين اللي هايدفن؟

البروفيسور روبيك: أنا ماعرفش إن فيه حد....

أولفهايم: طيب في حد على وشك الموت.... في مكان هنا أو هناك . الناس المريضة الضعيفة من الأحسن انهم يدفنوا وبسرعة.

السيدة مايا : إنت ماعيتش أبدا يا أستاذ أولفهايم؟

أولفهايم: أبدا. لو كنت عيت ماكنتش ها أقعد هنا ... بس أقرب أصحاب ليا.... عيوا ...غلابة؟!

السيدة مايا : وعملت إيه بقى لأقرب أصحابك؟

أولفهايم:ضربتهم بالنار طبعا.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليه) ضربتهم بالنار؟

السيدة مايا : (تدفع كرسيها إلى الخلف) ضربتهم بالنار وموتهم؟

أولفهايم:(يومئ) أنا دايما عياري صايب يا هانم.

السيدة مايا : لكن إزاي بتقدر تضرب الناس بالنار وتموتهم؟

أولفهايم: أنا ما بتكلمش على الناس ....

السيدة مايا : إنت بتقول أقرب الأصدقاء ليك ....

أولفهايم: ماهو أقرب أصدقائي همه الكلاب؟

السيدة مايا : كلابك همه أقرب أصدقاءك؟

أولفهايم:ماعنديش حد أقرب منهم. في الصـيد همه أصـدقائي المخلصـين الصـادقين الأمنا دايما...لما واحد فيهم بيجلوا مرض ويتعب ويضعف فا....طاخ!ساعتها بيروح صديقي للعالم الآخر.

(تخرج راهبة الرحمة من الفندق حاملة صينية عليها خبز ولبن فتضعها على منضدة خارج جناح الحديقة ثم تدخل.)

أولفهايم: (يضـــحك في ازدراء) ياه، بص الزبالة اللي شـــيلاها الراهبة اللي هناك دي....هو ده اللي بتعتبروه أكل للبني آدمين. لبن مخلوط بالمية وعيش طري ملزق .تعالوا شوفوا أصدقائب وهمه بيكلوا! عايزين تشوفوا المشهد ده؟

السيدة مايا : (تمرر ابتسامة لزوجها وتنهض) أه. ياريت.

أولفهايم:(ينهض بدوره) إنتي ســت شــاطرة ياهانم ! يالا تعالي معايا! همه بيبلعوا كتل لحمة كبيرة ... ويرجعهم ويبلعوهم تاني . مجرد مشهد مقزز. تعالي أوريكي .... نتكلم عن رحلتنا للجبل ...

(يخرج من زاوية الفندق تتبعه السيدة مايا.)

(في نفس الوقت تقريبا تخرج السيدة الغريبة من جناح الحديقة وتجلس إلى المنضدة.)

(ترفع السيدة كوب اللبن وتهم أن تشربه ولكنها تتوقف وتنظر إلى روبيك بعينين خاليتين من أي تعبير.)

البروفيســور روبيك: (يظل جالســا إلى المنضــدة ويحملق فيها - بثبات وجدية وأخيرًا ينهض ويخطو نحوها بضــع خطوات ثم يتوقف ويقول في صوت خافت) أنا أعرفك كويس يا إيرينة.

السيدة: (في صوت خال من أي تعبير وهي تضع الكوب) تقدر تخمن أنا مين يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك: (لا يجيبها) أنا شايف إن إنتي كمان عرفتيني.

السيدة: بالنسبة لك إنت الموضوع مختلف.

البروفيسور روبيك: ليه مختلف بالنسبة ليا؟... وإزاي؟

السيدة: أوه، إنت لسه حي ترزق.

البروفيسور روبيك: (لا يفهم) حي أرزق....؟

السيدة: (بعد صمت قصير) مين الست التانية دي؟ الست اللي كانت قاعدة معاك ... على التريزة؟

البروفيسور روبيك: (بشيء من التردد) أه دي؟دي ....مراتي.

السيدة: (تحني رأسها في بطء) فعلا! طيب يا أرنولد دي حاجة ماتخصنيش...

البروفيسور روبيك:(يومئ) لأ، طبعا مفهوم....

السيدة: ... حد فضلت معاه بعد مامت؟

البروفيسور روبيك: (يتفرس فيها فجأة) بعد مامتي ...؟تقصدي إيه يا إيرينة؟

إيرينة: (دون أن تجيب) الطفل؟ طفلنا عاش كويس وعاش من بعدي ونال الشهرة والمجد.

البروفيسور روبيك: (يبتسم كأنما يبتسم لذكرى قديمة يستدعيها) طفلنا؟ أيوه كنا بنسميه كده...ساعتها.

إيرينة: لما كنت حية أرزق، أيوه.

البرفيسـور روبيك: (يحاول أن يتكلم بلهجة أكثر مرحا) أيوه يا إيرينة.... دلوقتي تقدري تصـدقي إن "طفلنا" بقى مشـهور في العالم كله ، ومتهيألي إنك قريتي عن الموضوع ده.

إيرينة: (تومىء) وخلى أبوه كمان مشهور...ده كان حلمك.

البروفيسور روبيك: (بأسلوب أكثر نعومة وانفعال) أنا مدين ليكي أنتِ بكل حاجة يا إيرينة ... وبجد باشكرك.

إيرينة: (تستغرق في أفكارها لحظة) لوكنت ساعتها اتصرفت يا أرنولد ...

البروفيسور روبيك: طيب؟ كان ايه اللي هايحصل بقى؟

إيرينة: كنت قتلت الطفل ده.

البروفيسور روبيك: تقتليه؟

إيرينة: (تهمس) كنت قتلته... قبل ما أسافر وأسيبك. كنت أدقه وأسحقه إلى أن يصير ترابا وأذرّه في الهواء.

البروفيسور روبيك: (يهز رأسه في تأنيب) ماكنتيش هاتقدري تعملي كده أبدا يا إيرينة، ماكنش قلبك هايطاوعك.

إيرينة: لأ، يمكن ساعتها مكنش قلبي بالشكل ده .

البروفيسور روبيك: لكن بعد كده؟بعد كده؟

إيرينة:بعد كده كان ممكن أقتله كذا مرة ، بالنهار وفي الضلمة. كنت هاقتله بكره... وانتقام....وألم.

البروفيسـور روبيك: (يقترب من المنضـدة ويسـأل بصـوت أخفت) قوليلي يا إيرينة...بعد كل السـنين دي ليه سـافرتي وسـبتيني ساعتها ... هربتي من غير ما تسيبي وراكيأ ي اثر... وماعرفتش ألاقيكي تاني في أي حته....

إرينة: (تهز رأسها ببطء) أوه، يا أرنولد..... ليه أقول لك دلوقتي وأنا في عالم الأموات.

البروفيسور روبيك: إنتي حبيتي حد تاني غيري؟

إيرينة: كان فيه حد، واحد ماكنش محتاج حبي ...ولا محتاج حياتي خلاص.

البروفيسور روبيك:(يحاول أن يغير الموضوع) احم .... بلاش نتكلم اكتر من كده عن الماضي...

إيرينة: لأ. لا.... بلاش نتكلم عن عالم الأموات..... حتى لو كنت في العالم ده دلوقتي.

البروفيسور روبيك: كنتي فين يا إيرينة؟أنا فشلت إني ألاقيكي رغم إني دورت عليكي في كل حتة.

إيرينة: إنني دخلت الضلمة .... في الوقت اللي وقف فيه الطفل واتغير شكله ووشه كان منور زي الشمس وبقت هدومه بيضا زي ما تكون نور.
-

البروفيسور روبيك: إنتي سافرتي كتير حول العالم؟

إيرينة: أيوه، سافرت دول وبلاد كتيرة

البروفيسور روبيك:(ينظر إليها في تأثر) وكنتي بتعملي إيه هناك يا إيرينة؟

إيرينة: (تحول نظرها نحوه) اســـتنى كده... خليني أفتكر ...أه افتكرت... كنت واقفة على كرسي بيلف في عروض مختلفة وواقفة زي تمثال حي وكســـبت فلوس كتير وماكنتش متعودة على ده عندك لأن ماكنش عندك فلوس.... وكنتت مع رجالة ججنتهم... وده كمان مالقيتوش عندك يا أرنولد.... إنت كنت أقوى منهم.

البروفيسور روبيك: (يغير الموضوع) واتجوزتي كمان، صح؟

إيرينة: أه، إتجوزت واحد منهم.

البروفيسور روبيك: ومين جوزك؟

إيرينة: كان راجل من أمريكا الجنوبية. دبلوماسي . (تنظر أمامها ساهمة وعلى شفتيها ابتسامة جامدة) وجننته تماما ..... جنان مالوش علاج .....جنان مالوش حدود .... الموضـــوع كان يضـــحك...صـــدقني.... طول ما أنا كنت بالعب بيه ...كنت بفضـــل أضحك من جوايا طول الوقت... ، ده لو كان فيه جوايا حاجة.

البروفيسور روبيك: وهو عايش فين دلوقتي؟

إيرينة: تحت في المقابر . مقبرة عليها شاهد قبر وأنيق بعد ما دخلت الرصاصة في دماغه.

البروفيسور روبيك: هل هو قتل نفسه؟

إيرينة: أه. عملها قبل ما أنا أعملها .

البرفيسور روبيك: ما حزنتيش عليه يا إيرينة؟

إيرينة: (مندهشة) أحزن؟ على مين؟

البروفيسور روبيك: على الأستاذ ساتوف بالطبع.

إيرينة: ماكنش اسمه ساتوف.

البروفيسور روبيك: ماكنش اسمه ساتوف بجد؟

إيرينة: جوزي التاني كان اسمه ساتوف. كان روسي....

البروفيسور روبيك: وهو فين؟

إيرينة: هناك بعيد في آخر جبال الأورال بين كل مغارات الذهب.

البروفيسور روبيك: هل عايش هناك؟

إيرينة: (تهز كتفيها مستهجنة) عايش؟عايش؟ في الحقيقة أنا قتلته....

البروفيسور روبيك: (يجفل) قتلتيه...!

إيرينة: قتلته بسكينة حامية كانت دايما معايا محتفظة بيها في سريري....

البروفيسور روبيك: (بانفعال) أنا مش مصدقك يا إيرينة!

إيرينة: (بابتسامة خفيفة) لا. صدقني يا أرنولد.

البرفيسور روبيك: (ينظر إليها مشفقا) ماخلفتيش أطفال خالص؟

إيرينة: طبعا، كان عندي أطفال كتير.

البروفيسور روبيك: وأولادك فين دلوقتي؟

إيرينة: قتلتهم.

البروفيسور روبيك:(بحدة) إنتي بتكذبي عليا تاني أهو!

إيرينة: قلتلك إني قتلتهم ...قتلتهم بجد ... كنت باقتلهم أول ما يوصلوا للعالم ده. قبل كده بكتير واحد ورا التاني.

البروفيسور روبيك: (بحزن وبجدية) فيه حاجة ورا كلامك ده.

إيرينة: طيب أعمل إيه؟ كل كلمة بقولها بتتوشوشلي في ودني.

البروفيسور روبيك: بيتهيألي أنا الوحيد اللي أقدر أفهم إيه اللي ورا كلامك.

إيرينة: المفروض إن إ نت تكون الشخص الوحيد.

البروفيسور روبيك: (يضع يديه على المنضدة وينظر لها بإمعًان) فيه وتر جواكي اتقطع.

إيرينة: (بلطف) وهو ده اللي دايما بيحصل لما واحدة ست شابة مليانة حيوية تموت.

البروفيسور روبيك: أوه يا أيرينة ابعدي عن كل الخيالات البشعة دي عن... ! أنتي عايشة أهو ! عايشة... عايشة !

إيرينة:(تنهض من مقعدها ببطء وتقول بتأثر)أنا مت من ســـنين طويل. همه جم و ربطوا درعاتي ورايا ....ورموني في مقبره على شبابيكها عمدان حديد وحيطانها مبطنة...عشان ماحدش من اللي فوق الأرض يسمع صريخ القبر.... لكن دلوقتي بدأت أقوم من بين الأموات.

(تجلس ثانية)

البروفيسور روبيك: (بعد فترة صمت) وإنتي شايفة إن أنا السبب ؟

إيرينة: أيوه.

البروفيسور روبيك: يعني أنا السبب ....في اللي إنتي بتسميه موتك؟

إيرينة: إنت السبب في إني كان لازم أموت. (تغير لهجتها لأخرى تحمل لا مبالاة) ليه مابتعدش يا أرنولد؟

البرفيسور روبيك: هل أتجرا واقعد؟

إيرينة: أيوه ... وماتخفش مش هاتترعش من البرد .أنا بيتهيألي إن أنا لسه ماتجمدش.

البروفيسور روبيك: (يحرك كرسيا ويجلس إلى منضدتها) شفني يا إيرينة، دلوقتي إحنا الاتنين قاعدين مع بعض زي زمان

إيرينة : بعاد شوية عن بعض زي زمان.

البروفيسور روبيك: (يقترب منها أكثر) كان لازم اعمل كده ساعتها.

إيرينة:لازم؟

البروفيسور روبيك: (بحزم)كان لازم يكون فيه مسافة بينا....

إيرينة: كان لازم يا أرنولد ؟

البرفيسور روبيك: (يواصل) فاكرة قلتي إيه لما سألتك إذا كنتي مستعدة تسيبي كل حاجة وتيجي ورايا بعيد لكل ممالك العالم؟

إيرينة: أنا حلفت إني هاجي معاك لآخر الدنيا واخدمك في كل حاجة.

البرفيسور روبيك: كموديل لعملي الفني....

إيرينة:... صادقة ، وعارية تماما.

البروفيسور روبيك: (متأثرا) وخدمتيني فعلا يا إيرينة. ... بكل شجاعة.... وبكل فرح وسرور.

إيرينة: فعلا أنا خدمتك بكل نبضة من شبابي!

البروفيسور روبيك: (يومئ وفي عينيه نظرة امتنان) عندك حق تقولي كده.

إيرينة: خدمتك وأنا أصلي وأوصي الملائكة يا أرنولد! (تمد يديها المعقودتين نحوه) ولكن أنت، أنت، أنت...!

بروفيسور روبيك: (مدافعاعن نفسه) أنا عمري ما أذيتك أبدا يا إيرينة ! أبدا!

إيرينة: لأ ، أذتني! أذتني في أقوى احساس جوايا...

البروفيسور روبيك: (يجفل متراجعا) أنا....!

إيرينة: أيوه ....أنت! أنا وقفت قدامك عريانة تماما...(بصوت أخفت) و لا مرة لمستني.

البروفيسور روبيك: إنتي عارفة يا إيرينة كام مرة كنت بتوه قدام جمالك؟

إيرينة: (تواصـــل بثبات) ورغم كده.... لو لمســـتني كنت قتلتك على طول.لأن كان معايا دايما إبرة حادة مخبياها في شـــعري.... (تمسح جبهتها وهي - تفكر) لكن ...برضه... برضه ... قدرت...

البروفيسور روبيك: (يحملق فيها بتأثر) أنا كنت فنان يا إرينة.

إيرينة :(بغموض) بالظبط.بالظبط.

البروفيسـور روبيك: كنت أولا فنان وكنت مهوس بإني أعمل أعظم عمل فني في حياتي.(سـاهما) ... كان المفروض يتسـمى "يوم البعث".... وكان المفروض يصور ست شابه بتصحى من الموت ....

إيرينة: أيوه، طفلنا.

البروفيسور روبيك: (يواصل الحديث) كان المفروض أن الست اللي بتصحى دي تكون ست نبيلة ونقية ومثالية. وبعدين قابلتك إنتي ... وكان ينفع أستغلك في كل حاجة ...و مشيتي وريا وانتي مبسوطة وبإرادتك .وتركتٍ أهلك وموطنك وتبعتيني.

إيرينة: انا لما مشيت وراك كان ده بعثا لطفولتي.

البروفيسـور روبيك: وعشـان كده كنت أقدر أسـتخدمك إنتي .. ومش حد تاني. وبقيتي بالنسـبة ليا مخلوق مقدس ماينفعش ألمسـه غير في حالة أفكار العبادة. كنتي لسـه صـغيرة يا إيرينة. وسـاعتها الخرافات سـيطرت عليا .. ... صـورتلي إني لو لمسـتك أو اشتهيتك بحواسي فإن روحي هاتتلوث لدرجة إنني مش ها قدر أكمل الحاجة اللي بشتغل عشانها .

إيرينة: (تومئ بشيء من الازدراء) العمل الفني الأول وبعد كده الطفل.

البروفيسور روبيك: احكمي عليا زي ما انتي عايزة لأن ساعتها العمل العظيم ده سيطر عليا .. وكنت فرحان بيه جدا .

إيرينة: وقدرت تخلص عملك يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: البركة فيكي.... بفضلك قدرت أخلص العمل. كنت عايز أخلق الست الطاهرة اللي كنت عايزها تصحى في يوم البعث. وماتصـتغربش من أي حاجة جديدة وغريبة ومش معروفة . كانت الفرحة القدسـية مليها لما لقت نفسـها زي ماهي ماتغيريش ... السـت المخلوقة من الطين ... وطلعت لمكان أعلى وهي حرة ولقت السـعادة بعد غفوة الموت الطويلة.(بصـوت أخفت) خلقتها في صورتك إنتي يا إيرينة..

إيرينة: (تمد يديها على المنضدة ثم تستند إلظهر كرسيها) وبكده كنت انتهيت مني.

البروفيسور روبيك: (مؤنبا) إيرينة!

إيرينة: ماكنتش محتاجلي خلاص.

البروفيسور روبيك: إزاي تقولي كلام زي ده.

إيرينة: ... وبدأت تبص حواليك وتدور على موديلات تانية....

البروفيسور روبيك: ما لقيتش حد بعدك أبدا.

إيرينة: ولا أي موديل تاني يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك: إنتي ماكنتيش مجرد موديل بالنسبة ليا. إنتي كنتي منبع إلهامي.

إيرينة: (لحظة صمت) صنعت إيه من ساعتها؟ قصدي من بالرخام.

البروفيسور روبيك: ماصنعتش حاجة من ساعتها.... فضلت أصنع تماثيل.

إيرينة: والست اللي إنت عايش معاها دلوقتي....؟

البروفيسور روبيك: (قاطعها محتدا) ماتتكلميش عنها دلوقتي لأن ده موضوع بيحز في نفسي.

إيرينة: إنت ناوي تسافر معاها على فين؟

البروفيسور روبيك: (بملل وضجر) أوه، ناوي أطلع رحلة على الساحل الشمالي.

إيرينة: (تنظر إليه وتبتســـم دون أن يلاحظ وتهمس) إنت يناســـبك أكتر إنك تســـافر لقمم الجبال... فوق في أعلى مكان ممكن توصله... فوق، فوق..... دايما للأعلى يا أرنولد. دايما لفوق.

البروفيسور روبيك: (في لهفة وترقب) إنتي عايزة تطلعي لفوق؟

إيرينة: وعندك الجرأة تقابلني هناك مرة تانية؟

البروفيسور روبيك: (يناضل وبتردد) أوه ، لو كنت أقدر بس.... لو كنت أقدر...!

إيرينة: وليه مانعملش اللي إحنا عايزينه؟ (تنظر إليه وتهمس متوسلة وقد عقدت يديها في وضع صلاة) يالا يا أرنولد! تعال... تعال معايا ... أوه اطلعلي فوق....!

(تدخل مايا وقد انتابتها سعادة شديدة ومن خلفها يبدو الفندق وتذهب بسرعة نحو المنضدة حيث كانا يجلسان في السابق)

السيدة مايا : (لا تزال في زاوية الفندق ودون أن تتلفت حولها) لأ، دلوقتي قول اللي إنت عايزه يا روبيك فا.... (تتوقف وترى إيرينة) آسفة. واضح أنك اتعرفت على حد.

البروفيسور روبيك: (باقتضاب) جددت المعرفة....(ينهض) إنتي عايزة مني إيه؟

السيدة مايا : كنت عايزة أقول: قول اللي إنت عايزه ... لكن أنا مش هسافر معاك على الباخرة المقرفة دي.

البروفيسور روبيك: وليه لأ؟

السيدة مايا: لأن أنا عايزة أطلع فوق في الجبال ولغابات ... هو ده اللي انا عيزاه. (تتملقه) أوه، لازم تسمحلي أعمل كده يا روبيك! .... هأكون مطيعة جدا ...مطيعة جدا من دلوقتي!

البروفيسور روبيك : مين حط الأفكار دي في دماغك؟

الســـيدة مايا : صـــياد الدببة الفظيع. أوه، أنت مش متخيل الحكايات الرائعة اللي بيحكيها عن الجبال وعن الحياة هناك فوق... أكتر حكاياته بشـعة ومقرفة ومقززة لأن بيتهيألي إنه بيكذب . ورغم كده قد إيه هي حكايات جذابة وبتشـد . أوه، ممكن تسـمحلي أسافر معاه؟ بس عشان أشوف اللي بيقوله ده صحيح ولا لأ... فاهم ؟ تسمحلي يا روبيك؟

البروفيسـور روبيك : أه.ماعنديش أي مانع. يالا اطلعي الجبل.... ابعدي على قد ما تقدري . ويمكن أنا كمان أسـافر في نفس الطريق زيك.

السيدة مايا :(بسرعة) لأ، لأ ، لأ. إنت مش محتاج تعمل كده! مش محتاج تعمل كده عشاني!

البروفيسور روبيك: أنا كمان عايز أطلع الجبل. أنا قررت دلوقتي.

السيدة مايا :. شكرا ،شكرا . ممكن أروح أقول لصياد الدببة دلوقتي؟

البروفيسور روبيك: قولي لصياد الدببة اللي انتي عيزاه.

السيدة مايا : أوه، شكرا ، شكرا، شكرا.(تريد أن تمسك يده ولكنه يمنعها)قد إيه إنت طيب ولذيذ النهاردة يا روبيك.

(تجري إلى الفندق)

(في نفس الوقت يفتح باب جناح الحديقة بخفة وبلا صوت وتقف الراهبة بالباب ترقب إيرينة بعناية دون أن يراها أحد.)

البروفيسور روبيك: (يلتفت إلى إيرينة ويقول في حزم) يبقى هنتقابل فوق هناك، ولا إيه؟

إيرينة: (تنهض ببطء) أه. أكيد هنتقابل... بقالي كتير بدور عليك .

البروفيسور روبيك: إمتى بدأتي تدوري عليا يا إيرينة؟

إيرينة: (في صوت مازح تشوبه المرارة) من ساعة ما فهمت إني إديتك حاجة ماينفعش أخسرها يا أرنولد. حاجة ماينفعش أنفصل عنها خالص.

البروفيسور روبيك: (يومئ) أه. دي الحقيقة المرة. إنتي ضحيتي عشاني بتلت أربع سنين من شبابك.

إيرينة: أنا إديتك أكتر من كده بكتير. أنا كنت ساعتها مسرفة...

البروفيسور روبيك: أيوه. كنتي مسرفة يا أيرينة. إنتي ادتيني كل جمالك العاري...

السيدة إيرينة :.... عشان تبص عليه....

البروفيسور روبيك: .....وعشان أمجده...

إيرينة: عشان خاطر مجدك الشخصي... عشان طفلك.

البروفيسور روبيك: وعشان خاطرك إنتي كمان يا إيرينة.

إيرينة: ولكن إنت نسيت أغلى هدية.

البروفيسور روبيك: أغلى...؟ هدية إيه؟

إيرينة: أنا أهديتك روحي الشابة الحية ...والهدية دي خلتي فاضية من جوه..... من غير روح. (تنظر إليه بجمود) وده اللي خلاني أموت يا أرنولد.

(تفتح راهبة الرحمة الباب على مصراعيه وتفسح لها وتدخل الجناح.)

البروفيسور روبيك: (يقف ويتتبعها بعينيه ويهمس) إيرينة!

ستار

الفصل الثاني

(المكان قرب منتجع علاجي جبلي والمشهد الطبيعي يترامى منبسطا فوق مرتفعات جبلية شاسعة لا أشجار فيها تنتهي عند بحيرة جبلية طويلة من ورائها تبدو قمم الجبال على الناحية الأخرى من النهر وقد كُســيت بالجليد الأبيض المائل إلى الزرقة . في المقدمة إلى اليسـار نبع صـغير يصـب في جدول ماء منحدر من الجبل ثم يتجه بعد ذلك منسـابا في رفق فوق المرتفعات حيث يختفي ناحية اليمين. تحف بمجرى النبع شـجيرات ونباتات وصـخور.و إلى الأمام جهة اليمين يوجد مقعد من الحجر أعلى مطلع الجبل. يوم من أيام الصيف قبيل الغروب.)

(وهناك على بعد من المرتفعات على الجانب الآخر من النبع الصغير وهناك يلعب حشد من الأطفال ويرقصون ويغنون. بعضهم يرتدي ملابس الفلاحين والبعض الآخر يرتدي لباسا شعبيا. يمكن سماع ضحكاتهم السعيدة خافتة نظرا لبعدها، وفي هذه الأثناء يجري ما يلي:

(يجلس البرفيسور روبيك على المقعد وعلى كتفيه بطانية يتطلع إلى الأطفال وهم يمرحون.)

(وبعد قليل تقبل السـيدة مايا من بين الشـجيرات جهة اليسـار وتنظر إلى الأفق وهي تظلل عينيها بيدها وترتدي قبعة سـياحية مسطحة وتنورة قصيرة تصل إلى منتصف ساقيها. وحذاء عالي الرقبة به رباط وفي يدها عصا طويلة.)

السيدة مايا : (تلمح روبيك وتنادي) أهلا!

(تتقدم فوق المرتفعات وتعبر النبع بمساعدة العصا ثم تتسلق التل.)

السيدة مايا : (لاهثة) أوه، قد إيه جريت وأنا بدور عليك يا روبيك!

البروفيسور:(يومئ بلا اكتراث ويسأل) إنتي جاية من المنتجع؟

السيدة مايا : أيوه. أنا لسه خارجة من مصيدة دبان قرب يموت.

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها برهة) لاحظت إنك ماكنتيش موجودة على الغذاء.

السيدة مايا : فعلا، إحنا كنا بتغدى بره في الهواء. إحنا الاتنين.

البروفيسور روبيك:"إحنا الاثنين"؟ اتنين مين؟

السيدة مايا : أنا... وصياد الدببة البشع طبعا.

البروفيسور روبيك: فعلا، هو ؟

السيدة مايا : أيوه، و بكرة الصبح بدري هانخرج تاني عشان نطلع الجبل.

البروفيسور روبيك: تطاردوا الدببة؟

السيدة مايا : أيوه. هانطلع نقتل دب .

البروفيسور روبيك: ويا ترى لقيتوا أي أثر لأي دب؟

السيدة مايا : (بتفاخر) حسب ما أنا أعرف مافيش دببة هنا في الجبال دي.

البروفيسور روبيك: أمال موجودة فين ؟

السيدة مايا : تحت ، تحت الجبال، وفي الغابات اللي مليانة شجر . في مكان مستحيل يوصله الناس اللي في المدينة.

البروفيسور روبيك: انتو الاتنين هتروحوا هناك بكرة.

السيدة مايا : (ترتمي على الحشائش) أه، اتفقنا على كده..... ويمكن كمان نطلع الليلة دي ..... لو انت ماعندكش مانع طبعا؟

البروفيسور روبيك: أنا؟ لا، خالص...

السيدة مايا : (بسرعة) وبالمناسبة لارش هايجي معانا طبعا... ومعاه الكلاب.

البروفيسور روبيك: أنا لا أعرف حاجة عن الأستاذ لارش ولا عن كلابه. (يغير الموضوع) إنتي مش ممكن تقعدي جنبي على الدكة هنا؟

السيدة مايا :(تكاد تنعس) لأ، شكرا ، أنا نايمة هنا على الحشيش الناعم.

البروفيسور روبيك: أنا شايف إنك منعوسة.

السيدة مايا : (تتثاءب) أنا حاسة بالتعب فعلا.

البرفيسور روبيك: دايما بتجيلك الحالة دي لما بتكوني متحمسة ...

السيدة مايا : (في صوت ناعس) أيوه، هنام وأغمض عنايا.

(صمت قصير)

السـيدة مايا : (في ضـيق مفاجئ) أوف يا روبيك!.... إزاي تسـتحمل تقعد هنا وتسـمع صريخ الأطفال؟ وقاعد تبص عليهم وهمة بيطنتطوا كده؟

البروفيسـور روبيك: فيه انسـجام في حركاتهم.... عامل زي الموسـيقى..... أحيانا. ورغم كل الدوشـة دي، بلاقي حاجة جميلة لما بقعد أبص عليهم ...ولما يجوا عليا.

السيدة مايا : (تضحك بشيء من الاحتقار) أيوه إنت دايما وعلى طول فنان.

البروفيسور روبيك: وأحب إني أفضل فنان.

السيدة مايا : أيوه. هو ولا فنان ولا حاجة

البروفيسور روبيك: (ينتبه) مين ده اللي مش فنان؟

السيدة مايا: الشخص التاني طبعا.

البروفيسور روبيك: تقصدي صياد الدببة؟

السيدة مايا: مافيهوش أي حاجة من الفنان ، ولا أي حاجة خالص.

البروفيسور روبيك: (يبتسم) أه، بيتهيألي عندك حق.

السيدة مايا : (بحماسة ودون أن تتحرك) وقد إيه شكله وحش! (تنزع بعض الحشائش وترميها بعيدًا) وحش ، وحش! أوف!

البروفيسور روبيك: وده السبب في إن إنتي مش خايفة تروحي معاه الغابة؟

السيدة مايا : (باقتضاب) ماعرفش. (تلتفت إليه) وأنت كمان شكلك وحش يا روبيك.

البروفيسور روبيك: مالحظتيش ده غير دلوقتي؟

السيدة مايا : لأ، لاحظته من زمان... من مدة طويلة.

البروفيسور روبيك: (يهز كتفيه) الإنسان بيكبر .الإنسان بيكبر يا مايا.

السيدة مايا : مش ده اللي أنا أقصده. أقصد إن نظرة عينيك فيها يأس ... ملل... وإنت بتبصلي بتعالي كل شوية.

البروفيسور روبيك: إنتي لاحظتي كده؟

السيدة مايا :(تومئ) مع الوقت بقى عندك نظرة شريرة في عينيك كأنك بتخطط حاجة سرية ضدي.

البروفيسور روبيك: بجد؟ (بمودة ولكن بجد)تعالي اقعدي جنبي هنا شوية يا مايا . وخلينا نتكلم مع بعض شوية.

السيدة مايا : (تنهض قليلًا) تسمحلي أقعد على رجليك زي ما كنت باعمل قبل كده؟

البروفيسور روبيك: لأ، لأ ماتعمليش كده ، الناس ممكن تشوفنا من الفندق.(يتحرك قليلًا) ولكن تقدري تقعدي هنا على الدكة جنبي.

السيدة مايا : لأ، متشكرة. هافضل قاعدة في مكاني، أنا سمعاك كويس من هنا.(تنظر إليه في تساؤل) طيب، عايز تقولي إيه بقى؟

البروفيسور روبيك: (يبدأ ببطء) إيه السبب الحقيقي اللي خلاني أطلع الرحلة دي في رأيك؟

السيدة مايا : أه... عشان أنا هاستفيد جدا من الرحلة دي وحاجات تانية كمان بس...

البروفيسور روبيك: بس....؟

السيدة مايا : بس دلوقتي أنا مش مصدقة خالص إن هو ده السبب...

البروفيسور روبيك: ودلوقتي تفتكري إيه هو السبب بقى؟

السيدة مايا : بيتهيألي السبب هو الست اللي وشها مصفر.

البروفيسور روبيك: مدام فون ساتوف...!

السيدة مايا : أيوه، هي. الست اللي بتجري ورانا في كل حتة . وامبارح ظهرت هنا كمان؟

البروفيسور روبيك: إيه اللي بتقوليه ده؟

السيدة مايا : أوه، أنا عارفة إنك تعرفها من زمان قبل ما تعرفني

البروفيسور روبيك: و نسيتها كمان..... قبل ما أعرفك.

السيدة مايا : (تعتدل وتجلس) إنت ممكن تنسى بسهولة كده يا روبيك؟

البروفيسور روبيك: (باقتضاب) أيوه بكل سهولة. (يضيف بصوت خشن) لما أكون عايز أنسى.

السيدة مايا : تنسى حتى الست اللي كانت بتقف قدامك كموديل ؟

البروفيسور روبيك: (معترضا) لما أكون ماعتش محتاجلها تاني فا....

السيدة مايا : ست وقفت قدامك عريانة تماما؟

البروفيســور روبيك: ده حاجة مالهاش معنى .... عندنا إحنا الفنانين.(يغير لهجته) ودلوقتي ممكن أســألك إزاي ... كنت هاعرف إنها هنا في البلد دي؟

السيدة مايا : أوه، يمكن قريت اسمها في سجل زوار السفن اللي جاية ... ولا في جريدة من الجرايد.

البروفيسور روبيك: أيوه، بس ماكنتش أعرف خالص اسمها النهاردة. وعمري ماسمعت عن حد اسمه الأستاذ فون ساتوف.

السيدة مايا : (تتظاهر بالتعب) أوه، يا ربي! يبقى فيه سبب تاني خلاك تصمم إن إحنا نطلع الرحلة دي.

البروفيسور روبيك: (بجدية) أيوه يا مايا ...كان فيه سبب تاني. سبب مختلف خالص. ودي حاجة لازم هايجي وقت ونتكلم عليها.

السيدة مايا : (تضحك ضحكة مكتومة) قد إيه بتتكلم بطريقة رسمية!

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها في شك) أه، يمكن رسمي أكتر من اللازم.

السيدة مايا : إزاي ...؟

البروفيسور روبيك: هي حاجة مفيدة لينا احنا الاتنين جدا.

السيدة مايا : إنت خليت عندي فضول يا روبيك.

البروفيسور روبيك: فضول بس؟ مافيش قلق؟

السيدة مايا :(تهز رأسها) خالص.

البروفيسور روبيك: طيب. اسمعي..... إنتي قلتي لما كنا عند الحمام إني بقيت عصبي جدا في الفترة الأخيرة....

السيدة مايا : أيوه، إنت عصبي جدا.

البروفيسور روبيك: وتفتكري إيه السبب؟

السيدة مايا : وأنا هاعرف منين...؟(بسرعة) يمكن زهقت من وجودك الدايم معايا ؟

البروفيسور روبيك: الدايم....؟ وليه ماتقوليش " الأبدي"؟

الســيدة مايا : يبقى حياتنا اليومية ، إحنا بقالنا أربع أو خمس ســنين مع بعض ومافترقناش عن بعض ولا ســاعة واحدة.... إحنا الاتنين بس.

البروفيسور روبيك: (باهتمام) فعلا؟ وبعدين....؟

السيدة مايا : (محبطة بعض الشيء) إنت مش راجل اجتماعي يا روبيك، إنت بتفضل قاعد مع نفسك وبتشتغل في حاجتك، ومش باعرف اتكلم معاك في المواضيع بتاعتك عن الفن وكل الحاجات اللي تخص الفن ... .(تفتح ذراعيها) وأحلفلك إن أنا كمان معتش مهتمة.

البروفيسور روبيك: بالظبط، وعشان كده بنفضل قاعدين أكتر الوقت جنب الدفاية بنتكلم عن مواضيع تخصك إنتي.

السيدة مايا : يا ربي...! أنا ماعنديش مواضيع نتكلم عنها.

البروفيسور روبيك: طيب، يمكن مواضيع بسيطة كده، ولكن على كل حال حياتنا بتمر بالطريقة دي يا مايا.

السيدة مايا : أه، عندك حق، والوقت بيعدى منك يا روبيك! ...وهو ده السبب اللي عاملك قلق....

البروفيسور روبيك: (يومئ في حماس) قلقان جدًّا! (يتلوى وهو جالس على المقعد) فعلا، ماعدتش قادر استحمل الحياة الفاضية دي بعد كده.

السيدة مايا : (تنهض وتقف لحظة وتنظر إليه) إذا كنت عايز تتخلص مني فقولي.

البروفيسور روبيك: إزاي تتكلمي باالطريقة دي؟ أخلص منك؟

السيدة مايا : أيوه، لو عايز تخلص مني قولي وأنا هامشي على طول.

البروفيسور روبيك: (بابتسامة لا تكاد تُرى) هو ده نوع من أنواع التهديد يا مايا ؟

السيدة مايا : اللي قلته ده مش ممكن يكون تهديد بالنسبة لك.

البروفيسور روبيك: (ينهض) أه، عندك حق .. (بعد فترة صمت) مستحيل نفضل عايشين أنا وانتي مع بعض بالطريقة دي...

السيدة مايا : وبعدين....!؟

البروفيســـور روبيك: مافيش "بعدين" . (يضـــغط على نطقه للكلمات) مش معنى إننا مش عارفين نعيش مع بعض .... يبقى لازم نطلق.

السيدة مايا : (تبتسم في احتقار) قصدك نفترق لفترة قصيرة؟

البروفيسور روبيك:(يهز رأسه) ولا محتاجين نعمل كده كمان .

السيدة مايا : أمال إيه ؟ قولي على طول عايز تعمل معايا إيه.

البروفيسور روبيك: (بشيء من التردد) اللي أنا حاسس إني عايز أعمله.... حاجة محرجة.... أنا محتاج أملك شخص حواليا كان في يوم من الأيام قريب مني جدا.

السيدة مايا : (تقاطعه في حماس) وأنا مش كده يا روبيك؟

البروفيسور روبيك: (يشوح بيده) مش ده المعنى اللي أنا أقصده. أنا لازم أعيش مع حد تاني يملاني ويحسسني إن أنا كامل... وأكون أنا والشخص ده حاجة واحدة.

السيدة مايا : (ببطء) فعلا أنا مش هاقدر أخدمك في الحاجات الكبيرة دي.

البروفيسور روبيك: أه. طبعا. أكيد يا مايا مش هتقدري تخدميني فيها .

السيدة مايا : (بانفعال مفاجئ) وربنا يعلم إن أنا كمان ماليش مزاج أخدمك فيها.

البروفيسور روبيك: أنا عارف كده كويس. ومش هو ده اللي خلاني أرتبط بيكي.

السيدة مايا : (تنظر إليه نظرة متفحصة) إنت بتفكر في حد تاني ... باين عليك.

البروفيسور روبيك: فعلا؟ أنا عمري ما حسيت إنك بتقري أفكاري . لكن فعلا باين عليا؟

السيدة مايا : أيوه، أنا عرفاك كويس جدا يا روبيك

البروفيسور روبيك: طيب يمكن إنتي كمان عارفة أنا بفكر في مين؟

السيدة مايا : طبعا عارفة.

البروفيسور روبيك: فعلا؟ طيب ممكن لو سمحتي إن....؟

السيدة مايا : إنت بتفكر في الموديل.... اللي كنت بتستعملها في يوم من الأيام.... (تغير الموضوع) إنت عارف إن الناس اللي تحت دول بيقولوا إنها مجنونة؟

البروفيسور روبيك: بجد؟ ويا ترى الناس دي بتقول إيه عنك وعن صياد الدببة؟

السيدة مايا : ده مالوش دعوة بالموضوع. (تواصل إطلاق العنان لأفكارها) لكن إنت كنت بتفكر في الست اللي وشها مصفر.

البروفيسور روبيك: (بهدوء) بالظبط كنت بافكر فيها.....لما ما كنتش خلاص محتاجلها.... قررت تسافر وتسبني.....اختفت .... كده بدون سبب.

السيدة مايا : يبقى يمكن جبتني بدالها؟

البروفيسور روبيك: (بمزيد من اللامبالاة) بصراحة حاجة زي كده يا مايا يا صغيرة. كان بقالي سنة أو سنة ونصف قاعد لوحدي وكنت باحط اللمسات الأخيرة لعملي الفني "يوم البعث" اللي لف العالم وجابلي الشهرة.... وكل الحاجات الحلوة.(بمزيد من الدفيء) لكن أنا ماعتش باحب عملي خلاص ولا حتى الورد اللي بيجبوه ولا المدح اللي بيمدحوه ليا كل ده بيخلي نفسي- تغم عليا وباحس إني عايز استخبى في غابة مليانة أشجار.(ينظر إليها) وإنتي بقى ياللي بتقري أفكاري.... تقدري تخمني أنا فكرت في إيه ساعتها؟

السيدة مايا : (بلامبالاة) أه بدأت تصنع تماثيل نصفية للرجالة والستات.

البروفيسور روبيك: (يومئ) لما كانوا بيطلبوا. أه.وكان ورا الأقنعة وش حيوان وماكنتش بدفعهم فلوس عليها. فاهمة؟ (يبتسم) لكن مش هو ده اللي كنت أقصده.

السيدة مايا :إمال إيه؟

البروفيسور روبيك :(بجد مرة أخرى) الموضوع يخص رسالة الفن والعمل في الفن ....حاجات زي كده..... بدأت أحس إنه كلام فارغ وفاضي و مالوش معنى.

السيدة مايا: يبقى عايز تبدل كل ده بإيه؟

البروفيسور روبيك: الحياة يامايا.

السيدة مايا : الحياة؟

البروفيسور روبيك: أيوه. الحياة تحت الشمس وبين الجمال ده ليها قيمة تانية خالص بدل ما الواحد يقضي أيامه في مغارة معفنة ورطبة ويقعد يعافر معافرة الموت مع كتل الصلصال والصخور.

السيدة مايا :(تتنهد تنهيدة خفيفة) أيوه ... أنا طوال عمري بقول كده.

البروفيسور روبيك: وبعد كده بقي معايا فلوس كتير جدا وقادر أعيش حياة مرفهة وأقدر أسترخي تحت أشعة الشمس .... وقدرت أبني لنفسي فيلا على بحيرة تونيتز و قصر في العاصمة وكل الحاجات التانية.

السيدة مايا : (تقلد لهجته) وفي الآخر كان عندك فلوس كمان عشان تشتريني و سمحتلي إني أستعمل كل الكنوز بتاعتك.

البروفيسور روبيك: (يمزح حتى يغير الحديث) مش وعدتك إني أطلعك على جبل عالي عشان أوريكي كل أمجاد العالم؟

السيدة مايا : (بتعبير لطيف) بيتهيألي إنك طلعتني على جبل عالي جدًّا ياروبيك ....لكن إنت ماورتنيش كل أمجاد العالم.

البروفيسور روبيك: (يضحك بضيق) قد إيه صعب إني أرضيكي يا مايا، مستحيل أرضيكي. (بانفعال وعنف) تعرفي أكتر حاجة بتحيرني يا مايا؟ تقدري تخمني؟

السيدة مايا :(بهدوء وفي تحد) إنك ارتبطت بيا....مدى الحياة.

البروفيسور روبيك: مش عايز أعبر عن اللي جوايا بالطريقة القاسية دي.

السيدة مايا : ولكن المعنى قاسي للدرجة دي.

بروفسور روبيك: إنتي ماتعرفيش حاجة عن طبيعة الفنان من جوه.

السيدة مايا :(تبتسم وتهز رأسها) يا الله! ده أنا ماعرفش أنا نفسي جوايا إيه.

البروفيسـور روبيك: (يتكلم في ثبات) أنا عايش حياة إيقاعها سريـع يا مايا . إحنا الفنانين بنعيش كده وأنا عن نفسيـ عشـت حياة كاملة في السـنتين التي عرفنا بعض فيهم. وأنا اكتشـفت إن ماينسـبنيش أدور على السـعادة في الاسـتمتاع والاسـترخاء. دي حياة ماتنسـبش واحد زيي. لازم أسـتمر في الشـغل.... أشـتغل عمل ورا التاني.... لغاية آخر يوم في حياتي. (يجبر نفسـه على الاسـتمرار) وده هو السبب في إنك ماعتش ينفع أعيش معاكي إنتي يا مايا ...معاكي إنتي لوحدك.

السيدة مايا : (بهدوء) وده بقى معناه ببساطة إنك زهقت ومليت مني؟

البروفيسور روبيك: (ثائرا) أيوه، هو ده المعنى الصح ! بعنى أصح أنا مليت ... مليت جدا! وأديكي عرفتي أهو. (يكبح جماح نفسه) أنا بقولك كلام قاسي ووحش. وأنا نفسي حاسس كده : وإنتي مالكيش ذنب خالص ... أنا باعترف بكده.. الموضوع يخصني أنا ... أنا اللي حصالي تغير شامل. (يكبح جماح نفسه).... عشان أحيا من جديد .

السيدة مايا : (تعقد يديها لا إراديا) وفي الحالة دي بقى ليه مانسبش بعض؟

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها في دهشة) إنتي عايزة كده؟

السيدة مايا : (تهز كتفيها) أه، وإذا مافيش قدامنا حاجة غير كده يبقى ....

البروفيسور روبيك: (بحماس) ولكن فيه طريقة تانية. طريقة ...

السيدة مايا : (ترفع سبابتها في وجهه) دلوقتي إنت بتفكر في الست اللي وشها مصفر تاني!

البروفيسور روبيك: بصراحة أه ..مش عارف أبطل تفكير فيها من ساعة ما شفتها فيها مرة تانية.(يقترب خطوة) ودلوقتي أنا عايز أعترفلك يا مايا.

السيدة مايا: بإيه؟

البروفيسور روبيك: (يضرب بيده على صدره) عارفة... فيه جوه هنا .... صندوق ماينفعش يتفتح وجوه الصندوق ده رؤيتي الخاصة بالنحت ولكن لما هي اختفت اتقفل الصندوق لأن هي اللي كان معاها المفتاح ... هي اخدته معاها واختفت. وأنتي يا مايا يا صغيرة ما كانش عندك أي مفتاح وعشان كده كل حاجة موجودة جواه لسه ماستعملتهاش...والسنين بتعدي .. ومستحيل أعرف أوصل للكنز ده.

السيدة مايا : (تحاول أن تخفي ابتسامة ماكرة) خلاص خليها هي تفتحهولك تاني.

البروفيسور روبيك: (باستغراب) مايا...؟

السيدة مايا :... أيوه، هي موجودة هنا دلوقتي وأكيد جت عشان مفتاح الصندوق.

البروفيسور روبيك: أنا ماتكلمش معاها في الموضوع ده خالص!

السيدة مايا : (تنظر إليه ببراءة) ولكن يا روبيك يا حبيبي ..... هو الموضوع ده يستاهل كل القلق ده رغم إنه واضح جدا؟

البروفيسور روبيك: إنتي شايفة إن الموضوع واضح؟

السيدة مايا : أيه. أنا بيتهيألي كده. لازم تفضل مع الشخص اللي إنت محتاجه أكتر.(ى توميء إليه) أنا هاعرف ألاقي ليا مكان.

البروفيسور روبيك: قصدك فين؟

الســـيدة مايا : (بلا حزن وبلا اكتراث)يعني ....ممكن أنقل في الفيلا لو احتجت.... لكن ماظنش هاحتاج أعمل كده لأن في المدينة ... في بيتنا الكبير أكيد لازم يكون فيه..... نية طيبة.... وألاقي مكان يكفي تلت أشخاص.

البروفيسور روبيك:(في شك) وإنتي بيتهيألك إن ده ينفع على المدى البعيد؟

السيدة مايا : (بلهجة ناعمة) يا ربي!... إذا الموضوع ما مشاش يبقى مالوش لازمة الكلام.

البروفيسور روبيك: طيب في الحالة دي هانعمل إيه يا مايا؟

السيدة مايا : (بلا اكتراث) تشير فجأة إلى اليمين) في الحالة دي هانفترق وخلاص.هانفترق نهائيا. أنا متأكدة إني هلاقي مكان تاني في العالم ده. مكان فيه حرية!حرية!حرية!.... مافيش مشكلة يا برفيسور روبيك. (تشير فجأة إلى اليمين) بص! أهي جاية أهي.

البروفيسور روبيك: (يلتفت) فين؟

السيدة مايا : هناك في الحتة الواسعة دي. جاية علينا بخطوات كبيرة .... زي ماتكون تمثال من الرخام. هي جاية علينا.

البروفيسور روبيك: (يظل يحدق وهو يظلل عينيه بيده) مش شايفة إنها هي البعث ذاته؟ (ساهما) كأني أقدر أنقلها ... ...وأحطها في الضل!وأ خلقها من أول وجديد .... فقال له الله يا غبي!

السيدة مايا: قصدك إيه بالكلام ده؟

البروفيسور روبيك: (يتجاهل السؤال) ولا حاجة. ولا حاجة. إنتي مش ها تقدري تفهمي الموضوع.

(تتقدم إيرينة من الجهة اليمنى إلى الســهل ، وفي نفس اللحظة يراها الأطفال الذين كانوا يمرحون فيجرون نحوها، هاهم الآن قد أحاطوا بها: وقد بدت على بعضــهم الجرأة والثقة بينما تملك البعض الآخر شــعورا بالخجل والخوف،تحادثهم بصــوت خافت

وتقول لهم أن ينزلوا إلى المنتجع وأنها ســـوف تســـتريح قليلًا إلى جانب النبع، يجري الأطفال على المنحدر نحو الشـــمال وقد تراجعوا قليلًا إلى الخلف، تذهب إيرينة إلى جدًّار صخري وتضع يديها تحت الماء المتساقط كي ترطبهما.)

السيدة مايا : (بصوت منخفض) إنزلها واتكلم معاها على انفراد يا روبيك.

البروفيسور روبيك : طب وإنتي هاتروحي فين؟

السيدة مايا :(تنظر إليه نظرة ذات معنى) من هنا ورايح أنا هامشي لوحدي.

(تنزل التل وتعبر النبع وهي تتكئ على عصاها وتقف عند إيرينة.)

السيدة مايا : البرفيسور روبيك واقف مستنيكي هنا يا هانم.

إيرينة: وهو عايز إيه ؟

السيدة مايا : عايزك تساعديه يفتح صندق قفله مش عايز يفتح.

إيرينة: طب وهل أنا أقدر أساعده؟

السيدة مايا : هو بيقول إنك إنتي الوحيدة اللي تقدري تساعديه.

إيرينة : يبقى لازم أحاول.

السيدة مايا: أيوه يا هانم. لازم تساعديه.

(تنزل نحو المنتجع.)

(بعد لحظة قصيرة ينزل البروفيسور روبيك إلى إيرينة ، ولكنه يتوقف والنبع يفصل بينهما)

إيرينة: (بعد فترة صمت قصيرة) الست التانية دي..... قالتلي .... إن إنت مستنيني.

البروفيسور روبيك: بقالي سنة ورا سنة مستنيكي.... من غير ما ما أعرف ليه.

إيرينة: ماكنتش هاينفع أجيلك يا أرنولد لأني كنت نايمة هناك تحت، نوم عميق طويل مليان بالأحلام.

البروفيسور روبيك: لكن إنتي صحيتي دلوقتي يا أيرينة!

إيرينة: (تهز رأسها) ولسه جوايا النوم التقيل العميق.

البروفيسور روبيك: هتشوفي إن النور هايطلع لينا إحنا الاتنين.

إيرينة: ماتصدقش الكلام ده أبدا.

البرفيسور روبيك:(مقاطعا) أنا مصدق! وعارف ده كويس! وأنا دلوقتي خلاص لقيتك تاني.

إيرينة: بُعثت.

البروفيسور روبيك: متجلية!

إيرينة: بعثت بس يا أرنولد ولم أتجلى.

(يمشي على أحجار التي النبع مترنحا حتى يصل إليها.)

البروفيسور روبيك: كنتي فين طول النهار يا إيرينة؟

إيرينة: (تشير) بعيد ، بعيد في أرض الموت الواسعة....

البروفيسور روبيك: (يغير الحديث) لكن صحبتك مش معاكي ... ... زي ما أنا شايف.

إيرينة: (تبتسم) ورغم كده هي متبعاني كويس قوي.

البروفيسور روبيك: وهي تقدر تعمل كده؟

إيرينة: (تتلفت حولها) طبعا تقدر. ....مهما رحت أو جيت مســـتحيل أبعد عن عنيها. (تهمس) لغاية ما يجي يوم مليان بنور الشمس وأقتلها.

البروفيسور روبيك: إنتي عايزة تعملي كده؟

إيرينة: عايزة أعمل كده بجد.... لو قدرت.

البروفيسور روبيك: وليه عايزة تعملي كده؟

إيرينة: لأنها بتشتغل في السعر والشعوذة. (بغموض) تخيل يا أرنولد.... إنها حولت نفسها لضل ليا.

البروفيسور روبيك: (يحاول تهدئتها) طيب، طيب،.... كلنا محتاجين لظل.

إيرينة: ولكن أنا ظل نفسي .(ثائرة) إنت مش فاهم كده؟

البروفيسور روبيك:(بحزن) أيوه، أيوه يا إيرينة. أنا فاهم كده طبعا.

(يجلس على حجر إلى جانب النبع وتقف هي وراءه مستندة إلى الجدًّار الصخري)

إيرينة: (بعد فترة صمت) إنت ليه قاعد كده ومابتبصليش؟

البروفيسور روبيك: (بصوت أخفت وهو يهز رأسه) مش قادر .... مش قادر أبصلك.

إيرينة: وليه ماعتش قادر تبصلي؟

البروفيسور روبيك: إنتي عندك ظل بيعذبك وأنا عندي ضمير بيعذبني.

إيرينة: (تصيح في فرح وانطلاق) أخيرًا!

البروفيسور روبيك: (يقفز) يا أرينة... إيه اللي حصل!؟

إيرينة: (تشـير إليه لتمنعه) اهدا،اهدا، اهدا! (تتنفس نفسـا عميقا وكأنها أزاحت عن كاهلها حملا) بس ، همه سـابوني في حالي المرادي.... ودلوقتي نقدر نقعد ونتكلم مع بعض عن الحياة .... زي ما كنا بنعمل زمان.

البروفيسور روبيك: أوه، لو نقدر نتكلم زي زمان.

إيرينة: اقعد هناك زي ما انت ، وأنا هاقعد هنا معاك.

(يجلس مرة أخرى وتجلس هي على حجر آخر بجواره)

إيرينة:(بعد فترة صمت قصيرة) ودلوقتي أنا رجعتلك من أبعد مكان يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: أيوه، أكيد إنتي رجعتي من رحلة طويلة مالهاش نهاية.

إيرينة: رجعت لسيدي ومولاي .

البروفيسور روبيك: رجعتي لبتنا ... بيتنا إحنا يا إيرينة.

إيرينة: إنت كنت بتستناني كل يوم؟

البروفيسور روبيك: وإزاي أقدر أجرؤ واستني إنك ترجعي؟

إيرينة: (تنظر إليه نظرة جانبية) لأ، أظن إنك ماكنتش تجرؤ لأنك ماكنتش فاهم حاجة.

البروفيسور روبيك: هو انتي اختفيتي عشان خاطر حد تاني؟

إيرينة: وهو مش ممكن أكون اختفيت عشان خاطرك إنت يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك : (ينظر إليها في شك) لكن أنا مش فاهمك....؟

إيرينة: أنا لما كنت باخدمك بروحي وجســدي.... ولما خلص التمثال.... طفلنا، زي ما إنت بتســميه، رميت تحت رجليك أغلى تضحية ... إني أختفي من حياتك للأبد.

البروفيسور روبيك: (يحني رأسه) وضعيتي حياتي.

إيرينة: (تنتبه فجأة بغضـــب) هو ده بالظبط اللي كنت عيزاه! ماكنتش عيزاك تصـــنع أي عمل جديد أبدا أبدا .... بعدما خلقت طفلنا الوحيد.

البروفيسور روبيك: هل كنتي غيرانة ساعتها؟

إيرينة: (ببرود) بيتهيألي كان شعور بالكره.

البروفيسور روبيك : كره؟ كره ليا أنا؟

إيرينة: (بغضب مرة أخرى) أيوه كره ليك إنت ..... كره للفنان اللي خد روح بنت شابة جسمها نابض بالحياة .... من غير حزن أو قلق..... لأنك كنت محتاج للروح دي عشان تخلق عمل فني بس.

البروفيســور روبيك: وإنتي تقدري تقولي .... كده؟ شــاركتيني عملي بشــغف وبعاطفة مقدســة وبفرح لاينطق به ومجيد؟ وكان العمل ده بيجمعنا إحنا الاثنين كل يوم الصبح كأننا في قداس.

إيرينة: (ببرود كما كانت من قبل) أنا عايزة أقولك حاجة واحدة يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: إيه؟

إيرينة: قبل ما قابلك عمري ما حبيت فنك ....ولا حتى بعد كده؟

البروفيسور روبيك: طيب والفنان يا إيرينة ؟

إيرينة: أنا بكره الفنان.

البروفيسور روبيك: بتكرهي الفنان اللي في شخصي أنا ؟

إيرينة: خصوصا في شخصك. لما كنت بقلع هدومي وأقف قدامك كنت باكرهك يا أرنولد....

البروفيسور روبيك: (بحرارة)لأ، ماكنتيش بتكرهيني يا إيرينة! ده كلام مش صح!

إيرينة: كنت باكرهك لأنك كنت بتقف قدامي من غير ما تتأثر ....

البروفيسور روبيك: (يضحك)من غير ما تأثر؟ إنتي فاكرة كده؟

إيرينة: .... كنت بتمسك نفسك بشكل مقدس عشان إنت كنت فنان، فنان وبس ... مش راجل!(تغير لهجتها لتكون أكثر دفئا) لكن التمثال اللي إنت عملته من الصلصال الرطب الحي هو ده اللي أنا كنت بحبه.... ومن الرخام خلقت طفل والروح دبت فيه .... لأننا خلقناه مع بعض، طفلنا. طفلي أنا وأنت.

البرفيسور روبيك:(بحزن) كان روح وحق.

إيرينة: شفت يا أرنولد... إنا سافرت رحلة الحج الطويلة دي عشان خاطر طفلنا.

البروفيسور روبيك: (ينتبه فجأة) عشان خاطر تمثال الرخام...؟

إيرينة: سميه زي ما إنت عايز لكن أنا باسميه طفلنا.

البروفيسور روبيك: (بقلق) ويا ترى دلوقتي عايزة تشوفيه؟ كله؟ منحوت من الرخام اللي كنتي دايما شيفاه بارد. (بحماس) يمكن ماتعرفيش إنه معروض دلوقتي في متحف كبير في مكان .... في العالم .

إيرينة: أنا سمعت عنه قصص.

البروفيسور روبيك: إنتي طول عمرك بتكرهي المتاحف وبتسميها سراديب المقابر....

إيرينة: أنا عايزة أطلع رحلة حج للمكان اللي ادفنت فيه روحي وروح طفلي.

البروفيسور روبيك: (بخوف وقلق) ماينفعش تشوفي التمثال ده أبدا! سامعاني يا إيرينة ! أنا بترجاكي....! أبدا ،أبدا مش هاتشوفيه تاني!

إيرينة: في رأيك أنا ممكن أموت تاني بسببه ؟

البروفيسور روبيك: (يعصر يديه) أوه، أنا نفسي. ماعرفش رأيي إيه.... ولكن هاعرف منين إنك اتعلقتي بالتمثال بالقوة دي . أنتي اللي مشيتي .....وسبتيني قبل ما يكتمل.

إيرينة: هو كان اكتمل خلاص عشان كده مشيت وسيبتك لوحدك.

البروفيسور روبيك: (يجلس واضعا مرفقيه على ركبتيه ويديه على عينيه ويهز رأسه يمنة ويسرة) لكن بعد كده اتغير شكله.

إيرينة: (بهدوء ولكن بسرعة البرق تخرج من صدرها سكينا حادا وتسأل هامسة في صوت أجش) يا أرنولد ... إن أذيت طفلنا؟

البروفيسور روبيك: (في مورابة) أذيت؟ ... مش هاقدر أقرر لأني مش عارف إنتي تقصدي إيه بالأذية.

إيرينة: (مقطوعة الأنفاس) قولي حالا، إنت عملت إيه في الطفل!

البروفيسور روبيك: هاقولك لو قعدتي وسمعتي اللي عايز أقوله بهدوء .

إيرينة: (تخفي سكينها) أنا هاسمعلك بهدوء زي ما أي أم تقدر لما....

بروفسور روبيك: (مقاطعا) و ماتبصليش وأنا باتكلم معاكي.

إيرينة: (تتحرك نحو حجر خلف ظهره) هاقعد هنا وراك.... احكي.

البروفيســور روبيك: (يرفع يديه من فوق عينيه ويحملق أمامه) لما لقيتك عرفت على طول إزاي أســتخدمك عشــان أعمل أكبر عمل في حياتي.

إيرينة: " يوم البعث" هو ده الاسم اللي سميت بيه أكبر عمل في حياتك...لكن أنا سميته"طفلنا".

البروفيسـور روبيك: كنت سـاعتها شـاب صـغير ماعنديش خبرة في الحياة. وشـفت إن كلمة البعث بتوصـف أجمل وأروع شـابة ماحدش لمسها.... ماعندهاش خبرات الدنيا.... وبتبعث إلى النور والمجد من غير ما يكون فيها حاجة وحشة أو نجسة.

إيرينة:(بسرعة) أيوه.... هي دي بالظبط وقفتي في عملنا.

البروفيسور روبيك: (بتردد) مش بالظبط يا إيرينة

إيرينة: (في انفعال متزايد) مش بالظبط...؟ مش أنا واقفة فيه بالصورة اللي وقفت بيها قدامك؟

البروفيسـور روبيك: (دون أن يجيب) أنا نضجت مع مرور السـنين يا أرينة. عشـان كده " يوم البعث" بقى حاجة أكتر من كده في خيالي .... أخد أشــكال كتيرة في خيالي . القرص الصــغير المدور اللي كان التمثال واقف عليه فارد نفســه ووحيد .... مبقاش فيه مكان يكفي كل الحاجات اللي كنت عايز أعملها....

إيرينة: (تتحسس السكين ثم تتوقف) كنت عايز تعمل إيه؟ قولي!

البروفيسور روبيك: أنا شخصت كل اللي شفته بعنيا في العالم ده. كان لازم أشخص ده كمان.... ماكنش ينفع أعمل حاجة غير كده يا إيرينة. أنا وسعت قاعدة التمثال...عشان تبقى أكبر وفيها مساحة أوسع. وفوقها عملت جزء من الأرض المقوسة المتشققة وطالع من فتحة في الأرض بشر وشوشهم فيها ملامح حيوانات غامضة. ستات ورجالة ..... عرفتهم في حياتي .

إيرينة: (تتنهد في ترقب) وفي وسط الزحمة دي فيه بنت شابة واقفة وشها منور بالمجد والنور... مش كده يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك: (في موارية) لأ مش في النص بالظبط. للأسف كان لازم أحرك التمثال لورا شوية عشان التأثير العام زي ما إنتي فاهمة. ولو ماعملتش كده كان هيسيطر على المشهد.

إيرينة: لكن المجد والنور لازالا يجللان وجهي.

البروفيسور روبيك: فعلا يا أرينة ... إلى حد ما . يمكن المجد والنور خفوا شوية حسب أفكاري اللي اتغيرت.

إيرينة:(تنهض في هدوء) التمثال ده بيجسد الحياة زي ما إنت شايفها دلوقتي يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: أه،فعلا.

إيرينة: وفي الشكل ده رجعتني شوية لورا وبقت ملامحي مش باينة .... كأني تمثال في الخلفية.... في مجموعة.

(تجر السكين)

البروفيسور روبيك: لأ، لأ مش هيكل في الخلفية . خلينا نسميه هيكل في الوسط .....أو حاجة زي كده.

إيرينة: (تهمس في صوت أجش) إنت دلوقتي حكمت على نفسك .

(ترفع يدها لتضربه بالسكين)

البروفيسور روبيك: (يلتفت وينظر إليها) حكمت؟

إيرينة:(تخفي الخنجر بسرعة وتقول بضيق وكأنها تتألم) روحي كلها.... أنت وأنا.... إحنا، إحنا، إحنا وطفلنا متوحدين في الهيكل الوحيد ده.

البروفيسور روبيك: (بحماس وهو يرفع قبعته ويجفف العرق المتجمع على جبهته) أه، بس خليني أقولك إزاي حطيت نفسي. في المجموعة دي في المقدمة جنب النبع.... زي ما أنا قاعد هنا دلوقتي.... راجل مليه احساس بالذنب ومش قادر يهرب من أدران الأرض. وباسمي ده الندم على حياته اللي ضاعت. هو قاعد هناك وحاطط صوابعه في مية النبع الصافية... عشان يحاول يطهرهم.... وفكرة إنه مش هاينجح أبدا أبدا بتعذبه وبتستهلكه.... وإنه عمره ما هاوصل للخلود أبدا وهيفضل محبوس هنا في الجحيم بتاعه للأبد.

إيرينة: (بشدة وبرود) أنت شاعر!

البروفيسور روبيك: ليه شاعر؟

إيرينة: لأنك مستهلك ومش مركز ومليان بالاحساس بالذنب عن كل اللي عملته في حياتك وعن كل أفكارك وأعمالك. إنت قتلت روحي..... عشان كده صورت نفسك ندمان واعترفت بخطيئتك ... وبالطريقة دي كفرت عن سيئاتك ....(تبتسم) ....و فاكر إنك بالطريقة دي ريحت ضميرك.

البروفيسور روبيك:(متحديا) أنا فنان يا إيرينة . ومابتكسقش من نقط ضعفي. لإني زي ما إنتي عارفة اتولدت عشان أكون فنانا ومش هاكون أي حاجة تانية.

إيرينة: (تنظر إليه وعلى فمها ابتسامة خبيثة خفية وتقول في لطف ونعومة) إنت شاعر يا أرنولد.(تربت على شعره بلطف) إنت يا حبيبي طفل كبير عجوز .... معقولة إنت مش شايف ده؟!

البروفيسور روبيك:(بضيق) إنتي ليه مصرة تسميني شاعر؟

إيرينة :(بعينين ماكرتين) لان الكلمة دي فيها نوع من أنواع التسامح يا صديقي ....وبتغطي على كل نقط الضعف. (تغير لهجتها فجأة) بس أنا كنت ساعتها إنسانة وكان عندي برضه حياة أعيشها. شفت، كل ده سيبته يتبخر...أنا ضحيت بكل ده عشان أكون تحت أمرك ... ياه، ده كان انتحار... كانت غلطة بشعة في حق نفسي.(في شبه همس) غلطة مش هاقدر أكفر عنها.

(تجلس بالقرب منه على حافة النبع وهي تراقبه مراقبة دقيقة دون أن يلاحظ ثم تقطف زهورا من الأشجار التي تحيط بهم.)

إيرينة:(تكبح جماح نفسها ظاهريا) كان لازم أخلف أطفال للعالم ده ....أطفال كتير.... أطفال حقيقين مش أطفال زي اللي إحنا مخبينهم في القبور. كان لازم تكون دي رسالتي في الحياة. ماكنش المفروض أخدمك أبدا يا حضرة شاعر.

البروفيسور روبيك: (شاردا) ورغم كده كانت أيام حلوة يا أرينة. أيام حلوة قوي.... ولما بافتكرها ....

إيرينة:(تنظر إليه نظرة تحمل عطفا) إنت فاكر الكلمة الصغيرة اللي قلتهالي .... لما خَلَصت ... وخْلِصت مني أنا وطفلنا.(تومئ إليه برأسها) إنت فاكر الكلمة الصغيرة دي يا أرنولد؟

البروفيسور روبيك:(ينظر إليها متسائلا) هو أنا ساعتها قلت كلمة صغيرة إنتي لسة فكراها لغاية دلوقتي؟

إيرينة: أيوه، قلت. إنت مش فاكر ولا إيه؟

البروفيسور روبيك: (يهز رأسه) لأ، مش فاكرها. مش فاكرها دلوقتي .
إيرينة: ساعتها مسكت إيديا وضغطت عليهم بحرارة و أنا كنت واقفة مشتاقة أسمع هتقول إيه وبعدين قلت ساعتها: شكرا يا إيرينة وقلت كمان : المشروع ده كان بركة بالنسبة لك.

البروفيسور روبيك:(ينظر إليها في شك) مشروع؟ أنا مابقولش الكلمة دي.

إيرينة : إنت قلت "مشروع".

البروفيسور روبيك: (متظاهرا بالفرح) طيب .... عموما ده كان مشروع فعلا.

إيرينة: (باختصار) أنا مشيت وسيبتك بسبب الكلمة دي.

البروفيسور روبيك: إنتي حساسة قوي يا إيرينة .

إيرينة: (تمســـح جبهتها بيدها) ممكن يكون عندك حق. خلينا نخلص من كل الحاجات المعقدة اللي جوانا.(تنزع أوراق زهرة جبلية وترميها في النبع) بص يا أرنولد الطيور بتعتنا بتعوم هناك أهي.

البروفيسور روبيك: طيور إيه؟

إيرينة: هو أنت مش شايفهم؟ دي طيور الباشروش اللي لونهم أحمر زي الورد البلدي.

البروفيسور روبيك: لكن طيور الباشروش مابتعومش دي بتغوص بس.

إيرينة: يبقى هي مش طيور الباشروش لكن طيور النورس.

البروفيســور روبيك: أيوه ممكن تكون طيور النورس وليها مناقير حمرا.(يقطف أوراق خضراء عريضـة ويرميها في النبع) ودلوقتي هابعت المراكب بتاعتي وراهم.

إيرينة: لكن ماينفعش يكون فيه صيادين على المركب.

البروفيسـور روبيك: لأ مافيش صـيادين هناك.(يبتسـم لها) فاكرة في الصـيف لما كنا بنقعد قدام البيت الريفي الصـغير اللي جنب بحيرة تونيتز ؟

إيرينة : (تومئ) أه كل يوم سبت بعد الظهر... لما تكون خلصت شغل الأسبوع...

البروفيسور روبيك:... وكنا بنسافر بالقطر.....عشان نقعد هناك لغاية يوم الأحد....

إيرينة: (تبدو في عينيها نظرة تحمل شرا وكراهية) ده كان مشروع يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: (وكأنه لم يسمع) كنتي ساعتها بتسيبي الطيور تعوم في النهر ... لكن زنابق الماء هي اللي إنتي ....

إيرينة: كانت بجع أبيض.

البروفيسور روبيك : اه، أنا قصدي بجع أبيض وأنا فاكر إني ربطت ورقة كبيرة في بجعة منهم. كانت ورقة... نبات الأرقطيون ....

إيرينة: وبعد كده كانت بتتحول لقارب الفارس لوهنجرين....و البجعة بتسحبه.

البروفيسور روبيك: قد إيه كنتي بتحبي اللعبة دي يا إيرينة!

إيرينة : كنا بنلعبها كل شوية.

البروفيسور روبيك: بيتهيألي كل يوم سبت ، طول الصيف .

إيرينة: وقلتلي إن أنا البجعة اللي بتسحب القارب بتاعك.

البروفيسور روبيك: أنا قلت كده؟ يمكن.بيتهيألي قلته. (منشغل باللعبة) بصي بس لطيور النورس وهي بتعوم في النهر !

إيرينة: (تضحك) بس كل مراكبك تاهت.

البروفيسور روبيك: (يرمي مزيد من الأوراق في النبع) عندي مراكب احتياطي كتيرة حالتها كويسة.(يتتبع الأوراق بعينيه وهو يلقي غيرها في مجرى النبع ثم يقول بعد فترة صمت) يا إيرينة.... انا اشتريت البيت الريفي الصغير اللي جنب بحيرة تونيتز.

إيرينة : اشتريته؟ كنت بتقول دايما إنك هاتشتريه لما يبقى معاك فلوس كفاية .

البروفيسور روبيك: ما هو بعد كده بقى معايا فلوس واشتريته.

إيرينة: (تنظر إليه نظرة جانبية) طيب إنت لسه عايش هناك ... في بيتنا القديم؟

البروفيســـور روبيك : لأ .أنا هديته من زمان وبنيت بداله فيلا كبيرة وأنيقة....حواليها جنينة. وهناك اتعودنا إن ....(يتوقف ويصحح العبارة) اتعودت أقضي الصيف ....

إيرينة: (تتمالك نفسها) أنت والتانية دي. عايشين هناك دلوقتي؟

البروفيسور روبيك: (في شبه تحدي) أيوه، لما مابنكونش أنا ومراتي مسافرين .... زي دلوقتي.

إيرينة: (ساهمة) الحياة جنب بحيرة تونيتز كانت جميلة جميلة جدا .

البروفيسور روبيك : (وكأنما يسترجع شيئًا في نفسه) ورغم كده يا أرينة....

إيرينة: (تكمل فكرته) ....ورغم كده إحنا الاتنين سيبنا الحياة دي بكل جمالها .

البروفيسور روبيك: (بهدوءمقاطعا) وهل فات وقت الندم دلوقتي؟

إيرينة :(لا تجيب وتجلس صامتة لحظة ثم تشير إلى القمم) بص هناك يا أرنولد على الشمس اللي بتغرب ورا قمم الجبال. بص ...إزاي لونها الأحمر بلون شجر الخلنج هناك.

البروفيسور روبيك: (ينظر حيث تشير) بقالي كتير ما شفتش غروب الشمس ورا الجبال.

إيرينة: ولا شروق شمس واحد؟

البروفيسور روبيك: ماظنش اني شفت شروق شمس واحد

إيرينة: (تبتسم وهي شاردة شرودا عميقا وهي تسترجع الذكريات) أنا مرة شفت شروق شمس جميل.

البروفيسور روبيك: فعلا؟ فين؟

إيرينة: فوق ، فوق جبل عالي جدًّا..... لما ضحكت عليت وأخدتني هناك فوق ووعدتني إني هشوف كل أمجاد العالم لو إني....

(تسكت فجأة)

البروفيسور روبيك: لو إنك...؟ إيه؟

إيرينة: لو أنا عملت اللي طلبته مني وطلعت معاك فوق وركعتلك.... وعبدتك وخدمتك. (تصـــمت قليلًا ثم تقول في صـــوت أخفت) ساعتها كنت هاشوف شروق الشمس.

البروفيسور روبيك: (يغير مجرى الحديث) إيه رأيك تسافري وتعيشي معانا في الفيلا هناك؟

إيرينة: (تنظر إليه في احتقار) أعيش معاك .... ومع الست التانية دي.

البروفيســـور روبيك :(يقاطعها) معايا أنا .... في المكان اللي عشـــنا فيه....أيام ما كنا بنخلق الحاجات. وكنتي بتفتحي كل حاجة مقفولة جوايا . إنتي مش تحبي تعملي كده يا أرينة؟

إيرينة: (تهز رأسها) المفتاح ماعتش عندي يا أرنولد.

البروفيسـور روبيك: إنتي معاكي المفتاح! إنتي بس وما فيش حد غيرك!(يرجوها ويتوسـل إليها) سـاعديني عشـان أقدر أعيش تاني من أول و جديد!

إيرينة: (بلا حراك كما كانت قبلا)أحلام فارغة! أحلام ضايعة .... أحلام ميتة. لأن حياتنا مع بعض مالهاش بعث تاني.

البروفيسور روبيك:(باختصار ويقاطعها) يبقى خلينا نلعب شوية وبس!

إيرينة: أيوه. نلعب ،ونلعب ... نلعب وبس.

(يأخذان في قذف أوراق الشجر وأوراق الورد في مجرى النبع حيث تعوم مع تيار الماء.)

(ومن الخلف ناحية اليسار يصعد أولفهايم والسيدة مايا في ثياب الصيد يتبعهما الخادم الذي يمسك بمقود الكلاب فيذهب بها جهة اليمين حيث يختفي.)

البروفيسور روبيك : (يراهما) بصي! مايا الصغيرة ماشية مع صياد الدببة هناك.

إيرينة: مراتك ، أه.

البروفيسور روبيك: أو مرات حد تاني غيري.

السـيدة مايا : (تتلفت حولها أثناء عبورها المرتفع فترى الاثنين جالسـين بجوار النبع فتهتف)مسـاء الخير يا حضرة البروفيسـور! إحلم بيا... أنا رايحة عالم المغامرات.

البروفيسور روبيك: (يصيح ردا عليها) أي نوع من المغامرات؟!

السيدة مايا : (تقترب) عايزة أخلي الحياة قبل أي حاجة.

البروفيسور روبيك: (بسخرية) فعلا؟ إنتي عايزة تعملي كده يا مايا يا صغيرة؟

مايا: أه. وكمان كتبت شعر عن الموضوع ده.

(تغني في فرح)

إنني حرة! إنني حرة ! إنني حرة!
حياتي في السجن انتهت !
أنا حرة كالطير
أنا حرة!
نعم، أظن أنني استيقظت الآن ... أخيرًا.

البروفيسور روبيك: واضح كده.

السيدة مايا : (تتنفس بعمق) أوه.... قد إيه حسيت بالراحة لما فقت!

البروفيسور روبيك: تصبحي على خير يا مدام مايا ....وحظ سعيد.

أولفهايم: (يصيح بصوت آمر) هش، هش.... يانهار اسود! بطل شغل الدجالين ده. إنت مش شايف إحنا رايحين نصطاد؟

البروفيسور روبيك: هتجبيلي إيه معاكي من الصيد يا مايا ؟

السيدة مايا : هاجيبلك طير متوحش عشان تستعمله موديل. هاضربه في جناحه عشان خاطرك.

البروفيسور روبيك: (يضحك في سخرية ومرارة) أه، هتضربيه بالنار في جناحه ... من عكك ... طول عمرك كنتي كده.

السـيدة مايا : (تلقي برأسـها إلى الوراء) أوه، خليني من هنا ورايح أدير أموري...!(تحني رأسـها ثم تضـحك في خبث) مع السـلامة .....وأتمنالك ليلة صيفية هادية فوق القمم!

البروفيسور روبيك: (مازحا) متشكر! واتمنالكم كل الحظ السيء وانتوا بتصطادوا !

أولفهايم: (يزأر بالضحك) هي دي الأمنية اللي المفروض تتمناها!

السيدة مايا : (تضحك) شكرا، شكرا ،شكرا يا بروفيسور.

(يعبرا الجزء المرئي على المرتفع إلى الشجيرات جهة اليمين)

البروفيسور روبيك: (بعد صمت قصير) ليلة صيف فوق القمم! أه، هي دي الحياة بجد!

إيرينة: (فجأة وفي عينيها تعبير وحشي) مش عايز تقضي ليلة صيفية فوق القمم... معايا؟

البروفيسور روبيك: (يمدذراعيه) أيوه، أيوه... تعالي !

إيرينة: مولاي وسيدي المعبود.

البروفيسور روبيك: أوه، يا إيرينة!

إيرينة: (بصوت أجش وهي تبتسم وتتحسس صدرها) بس ده هايكون مجرد مشروع.... (تهمس بسرعة) هس.... ماتبصش حواليك يا أرنولد!

البروفيسور روبيك: (في همس أيضا) فيه إيه؟

إيرينة: فيه حد واقف بيبص عليا.

البروفيسور روبيك:(يلتفت بشكل لا إرادي) فين؟ (في خوف) آه...!

(يظهر جزء من وجه الراهبة بين الشجيرات بجوار المنحدر جهة اليسار. وهي تثبت أنظارها على إيرينة ولا تحولها عنها)

إيرينة: (تنهض وتقول بصـــوت أخف) يبقى لازم نفترق. لأ، خليك قاعد.ســـامعني؟! ماتجيش ورايا. (تنحني عليه وتهمس له) هنشوف بعض الليلادي فوق قمم الجبال.

البروفيسور روبيك: وهاتيجي يا إيرينة؟

إيرينة: أه. أكيد هاجي.استناني هنا.

البروفيسور روبيك: (يعيد كلامها كالحالم) ليلة صيف فوق القمم. معاكي. معاكي. (تلتقي عيناه بعينيها) أوه، يا أيرينة يمكن هي دي الحياة... اللي إحنا ضيعناها.... إحنا الاثنين.

إيرينة: اللي ضاع مش هايرجع إلا لما...

(تتوقف عن الكلام)

البروفيسور روبيك: (ينظر إليها متسائلا) لما...؟

إيرينة: عندما نُبعث نحن الموتى.

البروفيسور روبيك: (يهز رأسه بحزن) وهنشوف إيه ساعتها؟

إيرينة: هنشوف إننا ماعشناش أبدا.

(تذهب نحو المنحدر وتبدأ في النزول فتفســح الراهبة طريقا لها ثم تتبعها، بينما يظل البرفيســور روبيك جالســا دونحراك إلى جانب النبع.)

السيدة مايا : (يسمع صوت غنائها المرح بين الجبال)

إنني حرة! إنني حرة ! إنني حرة!
حياتي في السجن انتهت !
أنا حرة كالطير
أنا حرة!
نعم، أظن أنني استيقظت الآن ... أخيرًا.

ستار

الفصل الثالث

(جانب من جوانب جبل شاهق حاد، في الخلف. إلى اليمين قمم مغطاة بالثلوج يخفيها الضباب. إلى اليسار صخور منهارة عليها كوخ قديم كاد أن يتهاوى.)

(الصباح الباكر وبدأ الضوء يبزغ ولكن الشمس لم تشرق بعد.)

(تنزل السيدة مايا الصخرة اليسرى ووجهها تكسوه الحمرة والضيق ويتبعها أولفهايم بين الغضب والضحك ويقبض على ذراعها بشدة.)

السيدة مايا : (تحاول أن تتخلص منه) سيبني! قولتك سيبني!

أولفهايم: طيب، طيب! كان ناقص تعضيني! إنتي مفترسة أكتر من الدب.

السيدة مايا : (تضربه على يده) قلتلك سيبني! واهدا....

أولفهايم: لأ، طبعا مش هاسيبك.

السيدة مايا : يبقى مش هامشي معاك ولا خطوة واحدة، سامعني ؟ ...ولا خطوة واحدة....!

أولفهايم:ها، ها !وهاتهربي مني إزاي في الجبل؟

السيدة مايا : هانط من على الجبل هناك لو اضطريت....

أولفهايم: وتكسري جسمك وتبقي أكل للكلاب في الآخر! أكل لذيذ مليان دم....!(يتركها) يالا اتفضلي روحي نطي من على الجبل لو عايزة ، هو مايل جدا ومافيش غير ممشي ضيق جدا مستحيل تمشي عليه.

السيدة مايا : (تنفض التراب عن تنورتها ، وتنظر إليه نظرة غاضبة) قد إيه حاجة لطيفة إن الواحد يمشي مع صياد لطيف زيك!

أولفهايم: لأ... قولي واحد تمارسي معاه رياضة.

السيدة مايا : إنت بتسمي ده رياضة؟

أولفهايم: أه، أنا بسمح لنفسي إني أقول كده.... لأن دي أكتر رياضة بحبها.

السـيدة مايا : (ترمي برأسـها إلى الوراء) فعلا.....!(بعد فترة صـمت تنظر إليه متفحصـة) طيب ليه فكيت الكلاب وسـبتها فوق هناك؟

أولفهايم: (يغمز بعينيه ويبتسم) عشان همة كمان يصطادوا براحتهم ، إنتي فاهمة أكيد.

السيدة مايا : ده مش صحيح! إنت ماعملتش كده عشان خاطر الكلاب بس.

أولفهايم: (لا يزال مبتسما) أمال عملت كده ليه؟قوليلي....

السـيدة مايا : إنت سـيبتهم عشـان حبيت تتخلص من لارش، عشـان يفضـل يجري وراهم ويرجعهم تاني. إنت قلت كده. وفي الوقت ده... أه، ده فعلا تصرف محترم منك!

أولفهايم: ...في الوقت ده إيه؟

السيدة مايا : (تقاطعه بجفاء) مش مهم!

أولفهايم: (بثقة) لارش مش هيلاقي الكلاب، صدقيني، ومش هايرجع بيهم إلا في الوقت المناسب.

السيدة مايا : (تنظر إليه بغضب) فعلا، مش هايجي.

أولفهايم: (يقبض على ذراعيها) لأن لارش ...يعرف كويس... أسلوبي في الرياضية. إنتي فاهمة بقي.

السيدة مايا : (تفلت منه وتنظر إليه مِنْ قِمَّة رأسه إلى أخمَص قدميه) إنت عارف إنت تشبه مين يا أولفهايم؟

أولفهايم: بيتهيألي إن أنا شبه نفسي.

السيدة مايا : عندك حق. لأنك تشبه الإله فون.

أولفهايم: فون...؟

السيدة مايا : أيوه، فون بالظبط.

أولفهايم: فون... ! هو ده نوع من الوحوش ولا نوع من شياطين الغابة؟

السيدة مايا : أه . شبهك بالظبط، مخلوق له دقن معزة ورجلين جدي، آه، وفون عنده قرنين كمان!

أولفهايم: فعلا! وعنده قرنين كمان؟

السيدة مايا : أيوه، قرون بشعة زي القرون بتاعتك.

أولفهايم: و قدرتي تشوفي قروني الضعيفة؟

السيدة مايا : أيوه، أنا شيفاها بوضوح.

أولفهايم: (يخرج مقود الكلاب من جيبه) يبقى أحسن أربطك .

السيدة مايا : إنت اتجننت! عايز تربطني ...؟

أولفهايم: مش بتقولي إن أنا شيطان، خليني بقى شيطان!بس كده! تقدري فعلا تشوفي القرنين بتوعي؟

السيدة مايا : (هدئه) بس، بس، بس ! خليك محترم يا أولفهايم. (تغير الموضوع) ولكن فين قصر الصيد اللي فضلت تتكلم عنه كتير؟ المفروض يكون هنا .إنت قلت كده.

أولفهايم: (يشير إلى الكوخ المتهاوي) ماهو قدام عينيكي أهو.

السيدة مايا (تنظر إليه) قصدك حظيرة الخنازير القديمة دي؟

أولفهايم: (يضحك لنفسه) بالمناسبة ... دي عاش فيها بنات ملوك كتير.

السيدة مايا : وهل الرجل المؤرف جه لبنت الملك في شكل دب زي ما قلتلي؟

أولفهايم: نعم، يا زميلتي في الصيد. هو ده المكان.(يشير إليها كي تدخل) لو تكرمتي ودخلتي فا....

السيدة مايا : أوف! ولا هاعتبها برجلي ...!أوف!

أولفهايم: أوه، ممكن لاثنين إنهم يقضوا ليلة صيفية جميلة جوه أو الصيف كله.

السـيدة مايا : متشـكرة! لكن لازم الواحد يكون عنده نفس يعمل كده.(بضـيق) ودلوقتي أنا زهقت منك ومن رحلة الصـيد دي وعايزة أنزل حالا للفندق....قبل ما الناس هناك تصحى.

أولفهايم: وهو إنتي فكرتي في طريقة النزول من هنا؟

السيدة مايا : أفتكر ده هو شغلك إنت.وأفتكر إن لازم يكون فيه طريق للنزول.

أولفهايم: (يشير إلى منحدر الجبل) ، بالتأكيد! فيه طريق للنزول....هناك عند منحدر الجبل.

السيدة مايا : شفت دلوقتي؟ .... بشوية إرادة فا...

أولفهايم:.... لكن حاولي لو عندك الجرأة تنزلي من الطريق ده.

السيدة مايا : (في شك) هو أنت فاكر إني ما قدرش؟

أولفهايم: أبدا مش هاتقدري، لو أنا ماخدش بإيدك فا....

السيدة مايا : (بقلق) طيب ما تاخد بايدي أمال إنت إيه لزمتك .وهو أنا ممكن استخدمك فيه إيه غير كده؟

أولفهايم: تحبي أشيلك على ظهري....؟

السيدة مايا : كلام فارغ!

أولفهايم: ...ولا أشيلك على درعاتي؟

السيدة مايا :بطل الكلام الفارغ ده!

أولفهايم: (في غيظ مكتوم) أنا مرة مسكت بنت ضايعة ...ورفعتها وطلعتها من القرف، وشيلتها بين درعاتي دول ... وكنت مستعد أشيلها طول العمر :.... عشان ماتحطش رجليها على الحجر لإني لما لقيتها كانت جزمتها مستهلكة ...

السيدة مايا : ورغم كده رفعتها وشلتها بين درعاتك.

أولفهايم: نشلتها من القرف ورفعتها لفوق على قد ما قدر.(في ضحكة كالزئير) عارفة كان إيه جزائي؟

السيدة مايا : لأ، جزاءك كان إيه بقى؟

أولفهايم : (ينظر إليها مبتسـما وهو يحني رأسـه) بقالي قرنين! القرنين اللي انتي شـيفاهم دلوقتي....مش دي قصـة غريبة يا مدام ياقتالة الدببة؟

السيدة مايا : أه، هي فعلا غريبة جدًّا.بس أنا بقى أعرف قصة أغرب من كده .

السـيدة مايا: هاحكيهالك، كان فيه بنت صـغيرة غبية وكان عندها أم وأب... كانوا عايشـين في الفقر وبعدين جه راجل غني وشـال البنت بين درعاته... زي ما عملت كده... وسافر معاها بعيد... بعيد.....

أولفهايم: طب هي كانت عاوزة تفضل معاه في المكان اللي هو فيه؟

السيدة مايا: هي كانت غبية طبعا.

أولفهايم: أكيد كان جذاب جدا؟

السيدة مايا : أوه، لأ. ولا حتى كان جذاب. وكان دايما بيقولها إنه هياخدها فوق أعلى جبل في مكان مليان نور وشمس.

أولفهايم: كان بيطلع الجبل هو كمان ، مش كده؟

السيدة مايا : أه، كان كده فعلا.... بطريقته هو.

أولفهايم: يعني أخد البنت معاه فوق....؟

السـيدة مايا : (تحني رأسـها إلى الوراء)...خدها معاه فوق فعلا ، أكيد! ياه، لأ ! هو ضـحك عليها وحطها جوه قفص بارد ورطب مافيهوش لا شمس ولا هوا. كل اللي كانت شايفة بس....مجرد حاجات دهبي وكبيرة وتماثيل ضخمة زي الأشباح.

أولفهايم: يا نهار أسود! بس هي تستاهل اللي يجرالها.

السيدة مايا :أيوه، لكن إنت مش شايف إنها رغم كده قصة غريبة ؟

أولفهايم: (ينظر إليها برهة) لا، اسمعيني يا زملتي في الصيد.

السيدة مايا: إيه؟ إيه طيب؟

أولفهايم:هو مش ممكن نخيط القصاقيص القديمة مع بعض؟

السيدة مايا : هو إنت عايز تشتغل رفا؟

أولفهايم: طبعا، أكيد. هو مش ممكن نخيط الحتت مع بعض ...ونحاول نصنع منها حياة؟

السيدة مايا : ولو اتقطعت القصاقيص القديمة دي...هانعمل إيه؟

أولفهايم: (يشيح بيديه) ساعتها هنقف في حرية وجرأة ... زي ما احنا كده دلوقتي!

السيدة مايا : (تضحك) ايوه، هاتقف برجليك اللي شبه رجلين المعيز !

أولفهايم: وإنتي هاتقفي برجليكي... ماشي الحال.

السيدة مايا : أيوه، يالا... نمشي.

أولفهايم: استني! على فين يا يا عزيزتي؟

السيدة مايا : راحة الفندق طبعا.

أولفهايم: وبعد كده؟

السيدة مايا :هانودع بعض باحترام وأشكرك على الرحلة الحلوة دي.

أولفهايم: هو ينفع نفترق؟ إنتي شايفة كده؟

السيدة مايا : أيوه، إنت ماعرفتش تربطني.

أولفهايم: أنا بقدملك قصر....

السيدة مايا : (تشير إلى الكوخ) زي اللي هناك ده؟

أولفهايم: هو لسه ماوقعش.

السيدة مايا : وهتوريني كل أمجاد العالم برضه ؟

أولفهايم: قلتلك قصر ...

السيدة مايا : شكرا! أنا قرفت من القصور.

أولفهايم: ... وحواليه أرض صيد واسعة.

السيدة مايا :وفي القصر ده أعمال فنية برضه؟

أولفهايم: (ببطء) لأ... مافيهاش أعمال فنية لكن....

السيدة مايا : (بارتياح) طب ده كويس جدا.

أولفهايم: طب تحبي تيجي معايا... وتبعدي معايا زي ما أنا عايز؟

السيدة مايا : بس فيه طائر متوحش قاعد يحرسني.

أولفهايم: (بوحشية) هانضربه برصاصة في جناحه يا مايا !

السيدة مايا : (تنظر إليه لحظة ثم تقول في حزم) طب تعالى بقى شيلني ونزلني تحت.

أولفهايم: (يلف وسطها بذراعيه) فعلا ده الوقت المناسب! الضباب بقى فوقنا دلوقتي....!

السيدة مايا : هو طريق النزول خطر للدرجة دي؟

أولفهايم: ضباب الجبل أخطر.

(تفلت منه وتذهب إلى الحافة وتنظر إلى أسفل ثم تتراجع بسرعة.)

أولفهايم: (يذهب إليها ضاحكا) إيه؟ دختي شوية؟

السيدة مايا : (بضعف) فعلا روح وبص هناك هتلاقي الاتنين إياهم طالعين هناك....

أولفهايم: (يذهب إليها وينظر من المنحني) ده الطائر المتوحش بتاعك والست الغريبة اللي ماشية معاه.

السيدة مايا : مش ممكن نعدي....من غير ما يشوفونا؟

أولفهايم: مستحيل! الممشي ضيق جدا، ومافيش طريق تاني.

السيدة مايا :(تتشجع) طيب، طيب... خلينا نواجههم!

أولفهايم: إنتي بتتكلمي كأنك قتالة دببة بجد يا زميلة الصيد!

(يظهر البروفيسـور روبيك وإيرينة عند المنحدر إلي الخلف ، وقد وضـع روبيك بطانيته على كتفيه بينما ألقت إيرينة معطفا من الفرو دون عناية على ملابسها البيضاء و فوق رأسها قبعة من الصوف الناعم.)

البروفيسور روبيك: (يظهر بالكاد من حافة منحدر الجبل) إيه ده يا مايا؟ معقولة اتقابلنا تاني؟

السيدة مايا : (تتظاهر بالثقة) تحت أمرك، تعالى قرب؟

(يصعد الأستاذ روبيك ويمد يده إلى إيرينة فتصعد هي الأخرى.)

البروفيسور روبيك: (لمايا ببرود) يعني إنتي قضيتي الليل فوق الجبل إنتي كمان ....زينا؟

السيدة مايا : أيوه..كنت باصطاد، ما هو إنت سمحتلي بالخروج.

أولفهايم: (يشير إلى أسفل المنحدر) إنت طلعت من الطريق ده؟

البروفيسور روبيك: أه ،زي ما إنت شايف.

أولفهايم: والست الغربية دي كمان؟

البرفيسور روبيك: أه، طبعا. (يرمق السيدة مايا) أنا والست الغريبة مش هانفترق أبدا بعد كده .

أولفهايم: هو إنت ماتعرفش إن الطريق اللي إنت مشيت فيه ده طريق موت...؟

البروفيسور روبيك:ورغم كده جربنا نمشي فيه برضه.لأن ماكنش شكله صعب في أوله.

أولفهايم: أيوه، دايما كل حاجة في الأول شـــكلها مش صـــعب، لكن ممكن توصـــل لحتة ماتعرفش تطلع فيها لقدام ولا ترجع لورا.وساعتها هاتتحبس ياسيادة البرفيسور!وإحنا الصيادين بنسميه حبيس الجبل.

بروفسور روبيك: (يبتسم وينظر إليه) معنى كده إنك بتدينا نصايح يا سيد أولفهايم؟

أولفهايم: حاشـا لله أنا لا بقول نصـايح ولا حاجة .(يواصـل وهو يشـير إلى أعلى) ولكن إنت مش شـايف إن الجو بدأ يقلب، مش سامع صوت الهوا؟

البروفيسور روبيك: (ينصت) الصوت عامل كأنه بداية يوم البعث.

أولفهايم: ده صوت الهوا فوق القمم الجبال !إنت مش شايف السحب بتتحرك إزاي وبتنزل لتحت وفجأة هتلاقيها حوالينا زي الكفن؟

إيرينة: (ترتجف) أنا عارفة الكفن ده!

السيدة مايا : (تشد يده) خلينا ننزل .

أولفهايم: (للبروفيسور روبيك) أنا مش هاقدر أساعد أكتر من واحد، خليكوا قاعدين في العشة لغاية ما العاصفة تمر، وبعد كده هابعتلكم ناس ترجعكم.

إيرينة: (برعب) يرجعونا! لأ!لأ!

أولفهايم: (بصوت أجش) هايخدوكم غصب عنكم لو اضطروا .... فالمسألة هنا حياة أو موت. وأديكوا عرفتوا.. (للسيدة مايا) يالا بينا....ماتخافيش، خليكي واثقة في زميلك.

السيدة مايا : (تتشبث به) أوه، قد إيه هافرح وهاغني لو نزلت من هنا سليمة!

أولفهايم: (يبدأ في النزول وهو ينادي الآخرين) يبقى هاتستنوا جوه في العشة لغاية ما الرجالة يجوا ينزلوكوا بالحبال.

(أولفايم يحمل السيدة مايا وينزلان على المنحدر في سرعة وحذر)

إيرينة: (تنظر إلى البروفيسور روبيك وقد بدا الفزع في عينيها) سمعت الكلام ده يا أرنولد؟.... الرجالة هايجوا وياخدوني...!رجالة كتير هايجوا فوق هنا....!

البروفيسور روبيك: ما تخفيش يا إيرينة...!

إيرينة: (في فزع متزايد) و الست اللي لابسة أسود ... هي كمان هاتيجي. أكيد بقالها فترة بتدور عليا وهتمسكني يا أرنولد! وهاتجبرني ألبس قميص المجانين. أوه، هو معاها في شنطتها. أنا شفته بنفسي ....

البروفيسور روبيك: مش هاسمح لحد يلمسك.

إيرينة: (بضحكة حائرة) أوه، أنا... أنا عندي حاجة تخليني أقاوم.

البروفيسور روبيك: وإيه هي؟

إيرينة: (تسحب السكين) دي!

البروفيسور روبيك: (يحاول أن يمسك بها) إنتي معاكي سكينة...؟!

إيرينة: دايما، دايما.ليل ونهار. وفي سريري كمان.

البروفيسور روبيك: إديني السكينة دي يا إيرينة!

إيرينة: (تخفيها) مش هاتخدها لأني أنا هستعملها في حاجة.

البروفيسور روبيك: هتستعمليها في إيه؟

إيرينة: (تنظر إليه بحدة) كنت ها ستعملها معاك يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: معايا!

إيرينة: لما كنا قاعدين على شط بحيرة تونيتز إمبارح بالليل....

البروفيسور روبيك: على شط بحيرة تونيتز...

إيرينة: ...بره بيت الفلاحين ... وكنا بنلعب بالبجع والزنابق.

البروفيسور روبيك: وبعدين.... وبعدين؟

إيرينة: ... ولما سمعتك بتقول ببرود يموت ...إني ماكنتش أكتر من مجرد مشروع في حياتك.

البروفيسور روبيك: إنتي اللي قلتي يا إيرينة مش أنا .

إيرينة: (تواصل) ساعتها طلعت السكينة وكنت عايزة أضربك في ضهرك.

البروفيسور روبيك: (بحزن) وليه ماعملتيش كده؟

إيرينة: لأني ساعتها عرفت إنك خلاص ميت ...من زمان.

البروفيسور روبيك: ميت؟

إيرينة: ميت .ميت زيي بالظبط. إحنا قاعدين جنب بحيرة تونيتز ،كأننا جثث باردة من الطين...وكنا بنلعب مع بعض.

البروفيسور روبيك: أنا مابسميش ده موت. إنتي مش فهماني.

إيرينة: طب فين بقى الرغبة والاشتياق اللي كنت بتقاومه وبتجاهده لما كنت باقف قدامك حرة زي ست بُعثت من الموت.

البروفيسور روبيك: حبنا أكيد مامتش يا إيرينة.

إيرينة: حبنا ده متصل بالحياة الأرضية ... الحياة الأرضية الجميلة الرائعة ... الحياة الأرضية الغامضة ...و ده مات في قلوبنا إحنا الاتنين.

البروفيسور روبيك: (بعشق) تعرفي إن الحب ده بالذات ... مولع جوايا أكتر من أي وقت تاني؟!

إيرينة: وأنا ؟نسيت أنا مين دلوقتي؟

البروفيسور روبيك: ما يهمنيش إنتي مين وعايزة إيه ! بالنسبة ليا إنتي الست اللي كنت بحلم أشوفها فيكي.

إيرينة: أنا اللي وقفت على القرص الدوار ... عريانة ... ووقفت كده قدام ميت راجل... بعديك.

البروفيســـور روبيك: أنا اللي حطيتك على القرص الدوار ... لأني كنت أعمى ســـاعتها . أنا اللي حطيت تمثال من الطين فوق الحياة.... فوق سعادة الحب.

إيرينة: (ترخي نظرها) فات الأوان .... فات الأوان!

البروفيسور روبيك: كل اللي حصل ماقللش منك في نظري أبدا.

إيرينة: (ترفع رأسها) ولا في نظري أنا كمان !

البروفيسور روبيك: طيب، إيه؟ إحنا بقينا كده أحرار، ولسه عندنا وقت عشان نعيش حياتنا يا إيرينة.

إيرينة: (تنظر إليه بحزن) حب الحياة مات جوايا يا أرنولد... أنا بُعثت ودورت عليك لغاية مالقيتك... وســـاعتها شـــفتك إنت والحياة ميتين زي ما أنا مت.

البروفيسور روبيك: أوه، قد إيه أنتي تاية! آدي الحياة فينا وحولينا... عايشة زي ماكانت!

إيرينة:(تبتسم وتهز رأسها) الست الشابة اللي بُعثت شايفة الحياة كلها محطوطة في نعش.

البروفيسور روبيك: (يطوقها بذراعيه بقوة) يبقى خلينا إحنا الاتنين الميتين .... نعيش حياتنا ولو مرة.... قبل ما ننزل القبر تاني!

إيرينة: (تصرخ) أرنولد!

البروفيسور روبيك:لكن مش هنا في الجو المضلم ده! مش هنا في المكان اللي بيرفرف فيه الكفن البشع المبلول ده من حوالينا...

إيرينة: (وقد أخذها العشق) أيوه ، أيوه.... هناك فوق عند النور، وحيث المجد الزاهي والبهاء كله إلى أعلى قمة في أرض الموعد!

البروفيسور روبيك: وهناك هانحتفل بجوازنا يا إيرينة ... يا حبيبتي !

إيرينة: (بفخر) والشمس هتبص علينا يا أرنولد.

البروفيسور روبيك: كل قوى النور والظلام هاتشوفنا .(يقبض على يدها) هاتيجي معايا ياعروستي المباركة؟

إيرينة: (كأنما تجلت) هاجي معاك، يا سيدي ويا مولاي!

البروفيسور روبيك: (يسحبها معه) لازم نعدي من الضباب الأول يا إيرينة، وبعدين.....

إيرينة: اه، نعدي من كل من الضباب وبعدين نوصل للقمة اللي بتشرق عليها الشمس.

(تتجمع سحب الضباب بكثافة في الأفق فوق المشهد ، يصعد البروفيسور روبيك وإيرينة وقد تشابكت أيديهما خلال الثلوج المتجمعة في الناحية اليمنى ، وفي الحال تخفيهما السحب المنخفضة وتنوح العواصف اللافحة ويسمع صفيرها في الهواء.)

(تظهر راهبة الرحمة عند الصخرة جهة اليسار. تقف وتنظر حولها في صمت.)

يمكن سماع صوت السيدة مايا تغني من الأعماق بفرح:
إنني حرة! إنني حرة ! إنني حرة!
حياتي في السجن انتهت !
أنا حرة كالطير
أنا حرة!
نعم، أظن أنني استيقظت الآن ... أخيرًا.

(يسمع فجأة من فوق الثلوج المتجمعة صوت كالرعد وتنزلق هذه الثلوج وتتهاوى في سرعة كبيرة . يمكن رؤية شبحي البروفيسور روبيك وإيرينة بشكل غير واضح وهما يسقطان مع الثلوج ويدفنان تحتها.)

الراهبة: (تصرخ وهي تمد ذراعيهانحوهما وتصيح) إيرينة!

(تقف لحظة صامتة ثم ترسم علامة الصليب في الفضاء وتقول: السلام لكما!)

(مازال صوت السيدة مايا المبتهج يبتعد أكثر وأكثر عن منحدر الجبل.)

ستار النهاية